الفوائد العقدية والقواعد المنهجية

المستنبطة

من تأصيلات أصول السنة للإمام أحمد السلفية

تتضمن شبهات حول الدعوة السلفية والرد العلمي الموصل عليها

قرأها وحث على نشرها وقدم لها وأضاف إليها من نفائسه

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله الجابري

إعداد

أبي معاذ حسن العراقي

دار الإمام أحمد

مصر راخ

أبي عبدالرحمن السلفي

الفلسطيني

الفوائد العقدية والقواعد المنهجية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفوائد العقدية والقواعد المنهجية

المستنبطة

من تأصيلات أصول السنة للإمام أحمد السلفية

تتضمن شبهات حول الدعوة السلفية والرد العلمي الموصل عليها

قرأها وحث على نشرها وتدريسها وأضاف إليها من نفائسه

فضيلة الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله الجابري

إعداد

أبي معاذ حسن العراقي

دار الإمام أحمد

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
و يحظر طبع أو تصوير أو إعادة تنضيد الكتاب كاملا أو مجزأ إلا بموافقة خطية من الدار
ومن يتعدى على حقوق الدار أو المؤلف فسوف يتم اتخاذ كافة الإجراءات القانونية معه
و عند الله تلتقي الخصوم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى

دار الإمام أحمد

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الايداع بدار الكتب المصرية: 2010/24301
رقم الايداع الدولي: 978-977-5004-46-8

6شارع عزيز فانوس من منشية لتحرير من جسر السويس ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
تليفون/ 0020222414248 تليفاكس/ 0020226365638 جوال/ 0020106014978
www.DarAlemamAhmad.com

فرع الازهر: 11 أ درب الاتراك ـ خلف الجامع الازهر
جوال : 0020105264020 هاتف : 002022510297

E.MAIL:DAR_ALEMAM_AHMAD@YAHOO.COM

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذه مجموعة من الفوائد التي جمعتها من كتب العلماء ومقالاتهم، والتي أعتقد أنها تندرج تحت الأصول التي ذكرها الإمام أحمد وتتمم المعاني التي أرادها وضوحًا وبيانًا وتطبيقًا لها علىٰ الواقع الذي نعيشه في هذه الأزمنة التي كثر

فيها أهل الأهواء وتنوعت مشاربهم وكثرت مقالاتهم والله المستعان.

وسبب جمعي لهذه الفوائد هو: استجابة للأخوة طلبة العلم الذين أسندوا إليَّ تدريس هذه الرسالة المباركة: أصول السنة للإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ[١] ضمن الدروس التي خصصت لبيان منهج أهل السنة والجماعة، ضمن دروس الدورة العلمية السلفية التي أقيمت في مسجد الصحابة[٢].

❊ ❊ ❊

(١) وطلبت من الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ- أن يجيزيني في تدريسها فقال -حفظه الله تعالىٰ-: (نعم نعم علىٰ بركة الله) وكان ذلك في بيته في المدينة النبوية عصر الخميس السادس من رجب ١٤٣١.

(٢) علمًا أن هذا المسجد قد تعرض لسيارة (شاحنة) كبيرة مفخخة أدت إلىٰ قتل وجرح العشرات من أهل السنة والجماعة والله المستعان.

أهم الأمور التي تضمنتها هذه الدروس

١- ذكر بعض الجوانب من حياة الإمام أحمد واستباط بعض الفوائد منها.

٢- جمع الفوائد من كلام العلماء تحت كل فقرة من كلام الإمام أحمد، ومحاولة ربط كلام الإمام أحمد علىٰ واقعنا اليوم[١].

٣- التركيز علىٰ عدم الخروج عن فهم وأصول السلف، والتحذير من القواعد المحدثة والأصول الجديدة.

٤- لابد لطالب العلم أن يرسخ في فهم عقيدة ومنهج أهل السنة ويحذر من التأصيليات المحدثة[٢].

٥- ضرورة ربط طلبة العلم بالعلماء الراسخين المشهود لهم بالفقه والأمانة والورع والزهد الذين أفنوا أعمارهم في الدعوة لهذا المنهج وشابت لحاهم علىٰ ذلك، وخصوصًا عند حلول الشبهات.

---

(١) وذلك لأننا نشهد اليوم صراعات منهجية كبيرة، ولكن مع تطور هذه المناهج تبقىٰ أصول الانحراف مشتركة مع تلك الفرق التي ظهرت في العصور المتقدمة وإن تغيرت المسميات.

(٢) مثل قاعدة: (نجتمع علىٰ ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) القاعدة البنائية المعروفة، والتي تطورت ولبست ثوبًا آخر وهو: (نصحح ولا نجرح) ثم تطورت إلىٰ: (لا نجعل الخلاف في غيرنا سببًا للخلاف بيننا).

٦- ضرورة معرفة المناهج الجديدة ومسمياتها ودعاتها للتحذير منهم[١].

* * *

(١) ومن هذه المناهج الجديدة: (جماعة الإخوان المسلمين) (وجماعة التبليغ) و(جماعة التكفير والهجرة)و(والقطبية) و(والسرورية) و(والحدادية) ولكل جماعة أصول يجب علىٰ المسلمين بصورة عامة معرفتها والتحذير منها ويتحقق الوجوب في حق طلبة العلم بصورة خاصة.

ملخص رسالة أصول السنة

فهذه الرسالة علىٰ صغر حجمها لكن جمعت من الأصول والقواعد في بيان منهج وعقيدة أهل السنة الشيء الكثير، نلخصها فيما يأتي:

١- حصر مصادر التلقي في الكتاب والسنة؛ لأن الخطأ في معرفة وحصر مصادر التلقي سيؤدي إلىٰ الانحراف في الاستدلال، ثم الانحراف في المنهج عن الصراط المستقيم.

٢- وجوب الرجوع إلىٰ منهج السلف الصالح في فهم الكتاب والسنة، وعلىٰ رأسهم الصحابة ﷺ، والاقتداء بهم، وهذا مما أهتم الإمام أحمد بتأصيله، وأنه أصل لا يجوز الخروج عنه؛ فعلىٰ قدر الابتعاد عن منهج السلف الصالح يكون الانحراف عن الصراط المستقيم.

٣- أن التمسك بالسنة والدعوة إليها يلزم من ذلك البراءة من البدع والتحذير منها، وهذا هو مفهوم الولاء والبراء، فوجوب التوحيد يلزم منه البراءة من الشرك ومن المشركين، ولزوم السنة يلزم منه البراءة من البدع والمبتدعين؛ ولذلك حذر الإمام أحمد منها بقوله: (وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة).

٤- التحذير من مجادلة أهل البدع والضلال الذين انبنت أصولهم علىٰ

الفلسفة، والكلام والتحذير من مجالستهم[١]، والحذر من سماع كلامهم أو قراءة كتبهم[٢].

٥- أهمية السنة وأنها الوحي الثاني بعد القرآن.

٦- لا يجوز رد النصوص بالآراء والقياس.

٧- بيان مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر والكلام والرؤية والإيمان وبعض مسائل الغيب، وبيان وسطية أهل السنة والجماعة في ذلك كله بين الغالي والجافي وبين الإفراط والتفريط.

---

(١) وهذا يفهم منه أن المناظرات العلنية التي كثرت الآن في الفضائيات غير صحيح؛ لأن فيها من الشر الشيء الكثير منه:

أن غالب المتصدرين لهذه المناظرات غير مؤهلين علميًّا.

أن غالب المتصدرين لهذه المناظرات ممّن عليه مؤاخذات عقدية ومنهجية.

هذه المناظرات بهذه الصورة ليست من منهج كبار علمائنا الذين نشروا عقيدة السلف بغير هذه المناظرات.

هذه المناظرات قد تسبب في إلقاء الشبه التي ربما تتعلق في أذهان العامة فلا يستطيعون إزالتها.

إثارة العداوات والشحناء بين المتناظرين وأتباعهم.

الغالب في هذه المناظرات يكون قصد المتناظرين الغلبة والانتصار للنفس.

قد يؤذي أهل السنة في البلدان التي يكونون فيها مستضعفين ويزداد الأذىٰ عليهم من قبل حكوماتهم، كما حصل عندنا هنا في العراق حيث يمتحن ويؤذىٰ صاحب السنة ويوصف بالعرعورية؛ لأن بعض المتصدرين لهذه المناظرات يسمىٰ عدنان عرعور.

(٢) والواقع شاهد علىٰ أن كل من لم يهتم بهذه الأصول ولم يتقيد بها فإن مصيره آيل إلىٰ أحضان أهل البدع والحزبيات.

٨- كرر الإمام أحمد ضرورة ترك مجادلة أهل البدع.

٩- بيان أصول أهل السنة في التعامل مع الحكام وهي من المسائل المهمة التي حدث بسبب عدم ضبطها عند كثير من الشباب من الفتن والفوضىٰ والآثار المدمرة ما لا يعلمه ولا يكشفه إلا الله الواحد القهار.

١٠- بيان الموقف الصحيح من صحابة الرسولﷺ، وأنهم خير الناس بعد الأنبياء والواجب الترضي عليهم جميعًا.

وهذه الأصول هي التي يجب علىٰ أهل السنة الاهتمام بها وشرحها ونشرها بين الناس، ولقد انتهيت بحمد الله تعالىٰ من جمع هذه الأقوال بعد شرحها لطلبة العلم في بداية جمادىٰ الآخرة من عام ١٤٣١ من هجرة الرسولﷺ[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

(١) ولقد اتفقت مع صاحب دار الإمام أحمد علىٰ نشر هذه الرسالة مع سلسلة من الرسائل المنهجية التي نسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا لذلك، وأن يكتب لنا الأجر والقبول يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

بعض مناقب الإمام أحمد[١]

اسمه ونسبه: هو: أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، جيء به من مرو حملًا، فولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة.

نسبه: فعن عبد الله بن أحمد ثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصىٰ بن دعمىٰ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان بن أدبن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

جوانب من حياة الإمام أحمد:

عن أبي بكر المروزي قال: قال لي أبو عفيف وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل فقال: كان في الكتاب معنا وهو غليم يعرف فضله[٢].

---

(١) هذه الترجمة وما ذكر عن الإمام أحمد مأخوذة من كتاب صفة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) وهذا فيه بيان أهمية طلب العلم منذ الصغر، هذا الواجب قصر فيه كثير من الآباء تجاه أبناءهم، فإن المؤسف أن كثيرًا من الآباء همه الوحيد أن يتعلم ابنه العلوم الدنيوية مسخرًا ماله وطاقاته في سبيل ذلك لكن علوم الشريعة فأكثر الأبناء تبعًا لآبائهم عن ذلك غافلون والله المستعان.

عن إدريس بن عبد الكريم قال: قال: خلف جاءني أحمد بن حنبل يستمع حديث أبي عوانة فاجتهدت أن أرفعه فأبىٰ وقال: لا أجلس إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه[١].

وعن أبي زرعة قال: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب[٢].

أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التستري قال: قيل: لأبي زرعة من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال: أحمد بن حنبل، حزرت كتبه اليوم الذي مات فيه فبلغت اثني عشر حملًا وعدلًا، ما كان علىٰ ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حديث فلان، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه[٣].

وقال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل.

وقال يحيىٰ بن سعيد: ما قدم علي مثل أحمد بن حنبل وقال أبو عاصم

---

(١) وهذه هي أخلاق العلماء ومن تربىٰ في مجالسهم بعكس ما نراه ونسمعه من بعض المتطفلين علىٰ العلم الذين أخذوا العلم من الانترنت ولم يجلسوا بين العلماء تراهم، وليس لهم إلا الطعن في العلماء واللمز والغمز فيهم طلبًا للشهرة من جهة وإرضاء للحزبيين من جهة وحبًّا في المال من جهة أخرىٰ، والله المستعان.

(٢) هذا هو دأب العلماء الاهتمام بالحديث حفظًا وفهمًا وعملًا مع ذلك تجدهم من أكثر الناس تواضعًا وأبعدهم عن الشهرة وأبغضهم لحب المدح بعكس ما نراه ونسمعه من بعض المفتونين بالشهرة تراه مع قلة بضاعته في العلم والحديث فلا تسمع من أتباعه إلا الغلو فيه والإطراء كقولهم: العلامة والمحدث الأصولي وحيد عصره فريد زمانه... علىٰ مسمع أو مرأىٰ من الممدوح والله المستعان.

(٣) وذلك لشدة اهتمامهم بالحديث.

النبيل: وقد ذكر طلاب العلم فقال: ما رأينا في القوم مثل أحمد بن حنبل[١].

وعن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل وقراءة النهار.

وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر في الماء فإذا هو كما كان فقال: سبحان الله رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل[٢].

وعن أبي داود السجستاني قال: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلم.

وعن علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلىٰ مكة وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملك أو تملني، قال: فلما ودعته قلت: يا أبا عبد الله توصيني بشيء. قال: نعم، الزم التقوىٰ قلبك والزم الآخرة أمامك.

وقال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط[٣].

وعن إبراهيم الحربي قال: كان أحمد بن حنبل يأتي العرس والختان

---

(١) وذلك لأنه جمع بين الحفظ والفهم الصحيح؛ لأنه ليس العبرة بحفظ النصوص فقط وإنما بفهمها علىٰ مراد الله تعالىٰ وعلىٰ مراد رسوله ﷺ.

(٢) والله نسأل أن يعيننا علىٰ أنفسنا المقصرة.

(٣) وهذه هي صفات العلماء الربانيين همهم الآخرة وفي هذه عبرة لمن يبيع دينه بعرض من الدنيا.

والإملاك يجيب ويأكل.

عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف ثوبًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقىٰ ثوبًا وأشده بياضًا من أحمد بن حنبل[١].

وعن إسحاق بن راهويه قال: لما خرج أحمد بن حنبل إلىٰ عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرىٰ نفسه من بعض الجمالين إلىٰ أن وافىٰ صنعاء وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئًا.

وعن الرمادي قال: سمعت عبد الرزاق وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه فقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت، فأخذت عشرة دنانير وأقمته خلف الباب وما معي ومعه أحد، وقلت: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير، وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو ألا تنفقها حتىٰ يتهيأ عندنا شيء، فتبسم وقال لي: يا أبا بكر لو قبلت شيئًا من الناس قبلت منك ولم يقبل[٢].

وعن محمد بن موسىٰ بن حماد الزيدي قال: حمل إلىٰ الحسن بن عبد العزيز الحروي من ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلىٰ أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار فقال: يا أبا عبد الله هذه ميراث حلال فخذها فاستعن بها علىٰ عائلتك، فقال: لا حاجة لي فيها أنا في كفاية، فردها ولم يقبل منها شيئًا.

---

(١) فلا تعارض بين الزهد في الدنيا والتجمل ومعاشرة الناس؛ لأن الله جميل يحب الجمال.

(٢) فأين اللاهثين وراء الجمعيات الحزبية البدعية من هذا الورع؟ فأين من يطلب العلم ليتكثر به المال من حياة الإمام أحمد بل أين من يفتي بخلاف الحق من أجل دنيا زائلة؟

وعنه قال: كنت أسمع أبي كثيرًا يقول في دبر الصلاة: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك.

وعن أبي عيسىٰ عبد الرحمن بن زاذان قال: صلينا وأبو عبد الله أحمد بن حنبل حاضر فسمعته يقول: اللهم من كان علىٰ هوىٰ أو علىٰ رأي وهو يظن أنه علىٰ الحق وليس هو الحق فرده إلىٰ الحق حتىٰ لا يضل من هذه الأمة أحد، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولًا لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا، ولا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدنا من حيث أمرتنا أعزنا ولا تذلنا أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعصية.

وعن ميمون بن الأصبغ قال: كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فدخلت فلما ضرب سوطًا قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، فضرب تسعة وعشرين سوطًا[1].

وعن أحمد بن سنان قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل

---

(١) وكم أعجبني شباب في مقتبل العمر تحملوا في سبيل الله ولم يغيروا ولم يبدلوا حتىٰ ماتوا من شدة التعذيب، وهذا في بلادي العراق حصل منه الكثير، وكم أحزنني أن دعاة علىٰ مستوىٰ من العلم وعلىٰ سعة من الرزق تغيروا بسبب المال، وصدق رسول الله ﷺ: «**وفتنة أمتي المال**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وصححه الشيخ الالباني في الصحيحة رقم ٥٩٢.

في يوم فتح بابك أو في فتح عمورية فقال: هو في حل من ضربي[١].

وقال إبراهيم الحربي: أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم وقال: لولا أن ابن أبي داود داعية لأحللته[٢].

قال المروزي: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين، ومرض تسعة أيام، وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ولزموا الباب الليل والنهار يبيتون، فربما أذن للناس فيدخلون أفواجًا يسلمون عليه فيرد عليهم بيده.

وعن صالح بن أحمد قال: قال لي أبي: جئني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاوس أنه كان يكره الأنين، فقرأته عليه فلم يئن إلا في الليلة التي مات فيها.

توفي ﷺ عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول وقيل: لعشر خلون من المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة، وقيل: سبعًا وسبعين.

فرحم الله الأمام أحمد رحمة واسعة، وجمعنا وإياه ومن أحبنا لله والمؤمنين في جنات عدن.

---

(١) انظر إلىٰ منهج العلماء الربانيين مع الولاة، ثم انظر بعد ذلك إلىٰ المتحمسين بغير حق المشوشين كيف يؤلبون الشباب ويحمسونهم إلىٰ سب الولاة وذكر مثالبهم في المحافل العامة والخاصة ويعتبرون ذلك جهادًا وشجاعة.

(٢) وهذا يدل علىٰ خطر دعاة الضلالة وأنه يجب البراءة منهم أحياءً وأمواتًا.

قال الإمام أحمد:

(أصول السنة عندنا):

الفائدة الأولىٰ: ابتدأ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان الأصول والقواعد التي تميز الدعوة السلفية الدعوة الحق.

«والأصول: جمع أصل، وهو ما يبنىٰ عليه غيره، والأصل المراد به في هذا الموضع: القاعدة، يعني قواعد أهل السنة والجماعة»[١].

فقول الإمام أحمد هنا: (**وَمِن أُصُولِ أَهلِ السُّنَّةِ**) يعني: من قواعدهم في الاعتقاد، يعني: هذه القواعد والأصول التي سيذكرها الإمام أحمد تنبني عليها عقيدة المسلم ومنهجه[٢].

---

(١) انظر شرح الواسطية للشيخ صالح آل شيخ.

(٢) هذه القواعد والأصول هي التي يجب علىٰ طالب العلم الاهتمام بها وترك الأصول والقواعد المحدثة التي فرقت السلفيين في أصقاع المعمورة، فمن أين جاءنا منهج الموازنات؟ ما حذرت من مبتدع إلا فوجئت بمن يقول لك ولكن عنده وعنده من الحسنات وعمل وعمل، من أين جاءنا المنهج الأفيح؟ من أين جاءنا: لا نجعل الخلاف في غيرنا سببًا للخلاف بيننا؟ من أين جاءتنا قاعدة: نصحح ولا نجرح؟

قواعد وأصول تصب جميعها في خدمة أهل البدع، فاقرءوا أصول السنة للإمام أحمد لا تجد هذه القواعد، وبعدها اقرءوا شرح أصول السنة للإمام البربهاري لا تجد هذه القواعد، وبعدها اقرءوا السنة لابن أبي عاصم والمروزي والشريعة للآجري، واقرءوا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية لا تجدوا هذه القواعد.

سألت الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ- في الجلسة التي قرأت عليه هذه الفوائد حول قاعدة: (لا نجعل الخلاف في غيرنا سببًا للخلاف بيننا) وهل هي امتداد لقاعدة =

الفائدة الثانية: السنة تعرف بعدة اعتبارات:

منها: في اصطلاح المحدثين: هي كل ما ورد عن النبيﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

ومنها: ما يقابل البدعة.

وقد يراد بالسنة المنهج والعقيدة.

وهذا المعنىٰ الأخير هو الذي قصده علماء السنة في تأليفهم كتب السنة، كما في كتاب السنة للأمام أحمد، وكتاب السنة لابنه عبد الله، وكتاب السنة لابن أبي عاصم وغيرهم.

=

المعذرة؟ فقال -حفظه الله تعالىٰ-: «لا شك؛ لأن القاعدة علىٰ إطلاقها ليس بصحيح، وإذا قبلناها فنقول في المسائل التي فيها مجال للاجتهاد ومن ذلكم رجل اُختلف فيه، عالم يعدله وعالم يجرحه فهنا نحن مع الدليل فإذا أقام الجارح بدليل لا يقبل التأويل قبلنا قوله وذاك العالم الذي عدله محترم عندنا إلا إذا صار يوالي ويعادي فيه هنا ينفصل منا ويرتكس مع مسلك المبتدعة.

فمثلًا لو أن شخصًا يقرر تفسير سيد قطب ويدعوا إليها هذا خالفنا هذا الخلاف بين السنة والبدعة، هذا ليس منا ولسنا منه لكن لا مانع أن ننصحه إن أمكن ذلك ونبين له الحق، فإن استبان ورجع إلىٰ الحق ومفاصلة سيد قطب ومفاصلة فكره وأقرنا علىٰ ما نحن عليه من تضليل الرجل فهو منا ونحن منه، فإذا أبىٰ نقول هذا مبتدع ضال، فالقاعدة ليست علىٰ إطلاقها فالقاعدة علىٰ إطلاقها ليست بصحيحة أبدًا فهي من القواعد الفاسدة. انتهىٰ كلام الشيخ حفظه الله تعالىٰ.

وأرباب هذه المقولات لم يرسخوا ولم يدرسوا كتب أهل السنة حق الدراسة ولوا أخذوا بها واكتفوا لسلموا من الشطط والانحراف.

وقد ألف الأئمة كتبهم بطريقتين:

الأولىٰ: ذكر النصوص والآثار.

والطريقة الثانية: طريقة المتون المختصرة كما في كتاب الإمام أحمد وكتاب السنة للبربهاري.

الفائدة الثالثة: الذي يقرأ كتب السلف في هذا الباب[1] يجدها تدور حول

---

(١) **ومن هذه الكتب:**

الإيمان لأبي عبيد القاسم ابن سلام، وهو من أقدم ما كتب في هذا الباب لأنه في القرن الثاني الهجري، وهو مطبوع.

السنة للإمام أحمد والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد، وهو مطبوع، والسنة للخلال تلميذ الإمام أحمد، السنة لابن أبي عاصم، شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة للاكائي، وقد كمل ولله الحمد بتحقيق الدكتور أحمد حمدان.

وكذلك نعود إلىٰ الوراء سنن الدارمي لأبي سعيد الدارمي وهذه الكتب سارت علىٰ منهج واحد تقريبًا في تقرير عقيدة السلف والتي تعنىٰ بذكر الآيات والأحاديث والآثار التي تنص علىٰ العقيدة ولزوم السنة والتحذير من البدع.

ومن الكتب التي ألفت في الرد علىٰ الجهمية مباشرة: خلق أفعال العباد للبخاري، والرد علىٰ الجهمية للإمام أحمد، والرد علىٰ الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي والذي عنوانه رد عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد، والرد علىٰ الجهمية لابن منده، والإيمان لابن منده، والتوحيد لابن منده، وشرح السنة للبربهاري، وكتاب البدعة لابن وضاح القرطبي.

ومن الكتب التي ألفت في القرن الرابع والخامس: وكتاب شعب الإيمان للبيهقي، والأسماء والصفات للبيهقي.

وفي القرن السادس والسابع: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية مثل التدمرية والحموية

أصول رئيسة[١] منها:

* بيان العقيدة الصحيحة.

* أهمية السنة.

* التمسك بمنهج السلف الصالح.

* ترك المحدثات والتحذير من البدع وأهلها.

* وعدم الخروج علىٰ ولاة الأمور، وغيرها، وشاهدنا علىٰ ذلك ما استهل به الأئمة في بداية كتبهم.

* لزوم الجماعة.

* * *

=

والقبرصية والعرشية والمدنية ورسالة لأهل الثغر وغيرها، وقبلها والإبانة الصغرىٰ والكبرىٰ لابن بطة، والصواعق، وبدائع الفوائدو إجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.

راجع مقدمة شرح السنة للبربهاري شرحها الشيخ صالح السحيمي، وهي ضمن شروحات الشيخ الصوتية وفي طريقها للنشر -إن شاء الله- من قبل دار الإمام أحمد بعد الانتهاء من تفريغها بحمد الله تعالىٰ، وأسميتها فتح الباري في شرح السنة للبربهاري.

(١) كانت في الأصل رئيسية فصححها الشيخ حفظه الله تعالىٰ، وهذا يدل علىٰ دقته حفظه الله وأمد في عمره علىٰ السنة.

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ-:

(التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم).

الفائدة الأولىٰ: التمسك بما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ هو الأصل الذي يميز أهل الحق عن غيرهم وأهل السنة من أهل البدع.

وهذا الأصل دل عليه حديث رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق علىٰ ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**، -وفي رواية: **من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**-»[1]، وفي الرواية الأخرىٰ: «**الجماعة**».

معنىٰ الجماعة:

من المهم جدًّا تحديد مفهوم الجماعة المقصودة في الحديث علىٰ فهم أهل السنة والجماعة؛ لأنه ظهرت مذاهب باطلة بسبب عدم تحديد المفهوم الشرعي الصحيح للجماعة.

فمن هذه المذاهب الباطلة: من يحدد مفهوم الجماعة بأنها اتفاق جميع المسلمين في الشرق والغرب علىٰ إمام واحد بعقد بيعة، ويجب علىٰ المسلمين السعي إلىٰ تحقيقها، ومعنىٰ ذلك ولازمه عدم الاعتراف بجميع الولايات

---

(١) وإسنادها حسن لغيره رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمرو والطبراني وغيره عن أنس وصححه الشيخ الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٠٤) قال الشيخ عبيد تعليقًا علىٰ هذا الحديث: (الحديث صحيح بمجموع طرقه مستفيض مشهور والرواية الصحيحة «الجماعة» لما قالوا منه يا رسول الله ﷺ قال: (الجماعة).

الإقليمية، وهذا مفهوم دعاة الإخوان ومن سار في فلكهم من الحركات الحماسية والتكفيرية وغيرها.

والمذهب الثاني في تحديد الجماعة: هو أن جميع الجماعات الإسلامية والحزبية الموجودة في الساحة هي المقصودة، ولا بأس أن يختار المسلم الدخول في أي جماعة من هذه الجماعات ولو كانت بدعية خرافية.

المذهب الثالث: وهو المذهب الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

هناك ثلاث تعريفات في تحديد معنىٰ الجماعة، ولكنها ولله الحمد كلها متفقة، وهي من قبيل اختلاف التنوع، وهذه الأقوال هي:

أ- هي السواد الأعظم، وهذا التفسير منقولٌ عن ابن مسعود الهذلي الصحابي المعروف ﷺ، وعن أبي مسعود الأنصاري البدري ﷺ[1].

ساق ذلك عنهما جمعٌ منهم: اللالكائي في كتابه (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة).

ويعنون بـ (السواد الأعظم): السواد الأعظم في وقتهما، وهو سواد عامة صحابة رسول الله ﷺ.

ب- (الجماعة): هم جماعة أهل العلم والسنة والأثر والحديث، هذا القول هو مجموع أقوال عددٍ من الأئمة، كما ذكر ذلك الإمام أحمد في قوله: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

---

(١) أرشدني الشيخ هنا إلىٰ الاستشهاد بأثر ابن مسعود ﷺ: (الجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ الحَقّ، وَإِن كُنتَ وَحدَكَ. أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وذكر ذلك أيضًا عبد الله بن المبارك ويزيد بن هارون وجماعة من أهل العلم.

ج- **وقال آخرون**: هم أهل العلم، كما رواه البخاري، يعني في زمن الإمام أحمد وما قاربه، أنهم هم الذين نفوا عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

وهم الذين نصروا السنة ونصروا العقيدة الحقة وردوا علىٰ من خالفها وأعلوا عليه النكير من كل جهة.

القول الثالث: أن الجماعة أصحاب رسول الله ﷺ.

وهذا القول منسوبٌ إلىٰ الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموي -رضي الله عنه ورحمه رحمةً واسعة-.

وهذه الأقوال هي من قبيل اختلاف التنوع؛ لأن (الجماعة) الذين هم: السواد الأعظم، كما فسرها ابن مسعود وأبو مسعود رضي الله عنهما، هذا يعنون به صحابة رسول الله ﷺ.

ومن فسرها -وهم أكثر أهل العلم- بأن (الجماعة) هم أهل العلم والأثر والحديث هؤلاء لأنهم تمسكوا بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد.

و(الجماعة) المراد بها أصحاب رسول الله ﷺ.

فتحصل إذن أن هذه الأقوال الثلاثة ترجع إلىٰ معنىٰ واحد، وأن (أهل السنة والجماعة) هم الذين تابعوا صحابة رسول الله ﷺ وتابعوا أهل العلم والحديث والأثر في أمورهم.

الفائدة الثانية: وجوب الانتساب إلىٰ منهج السلف.

قال شيخ الإسلام: ولا عيب علىٰ من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزىٰ إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ لأن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا.

قال الشيخ صالح الفوزان: إن الجماعة السلفية هي التي علىٰ الحق، وهي التي يجب الانتماء والعمل والانتساب إليها، وما عداها من التجمعات يجب ألا تعتبر من جماعات الدعوة.

لأن لفظة السلف تطلق ابتداءً علىٰ الصحابة والتابعين وأتباعهم.

قال الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السلف الصالح يشمل القرون الثلاثة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية في الحديث المتفق علىٰ صحته، بل الذي وصل مبلغ التواتر بكثرة طرقه في الصحيحين وغيرهما عن جمع كثير من الصحابة أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، فالقرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية هم المقصودون بالسلف الصالح.

الفائدة الثالثة: لم ينكر العلماء قديمًا وحديثًا هذه التسمية.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال راشد بن سعد: كان السلف يستحبون الفحولة من الجمال؛ لأنه أجرىٰ بالسير.

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن المبارك: كان يقول علىٰ رءوس الأشهاد: دعوا عمرو بن ثابت؛ فإنه كان يسب السلف، يعني: الصحابة.

وبوب البخاري في صحيحه (ج٥/ ص٢٠٦٨) باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم.

الفائدة الرابعة: تلازم العقيدة والمنهج[١]:

(١) **قال الشيخ عبيد -حفظه الله تعالىٰ-**: العقيدة تقرير الاعتقاد الصحيح بما يتعلق بالإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وما يتبع ذلك ممّا جاء في كتاب الله تعالىٰ وفي صحيح السنة من الإيمان بالغيب ماضيًا ومستقبلًا، وخلاصة ذلك تقرير فعل أوامر الله تعالىٰ واجتناب نواهيه وتصديق أخباره -جل وعلا- وكذلك بالنسبة للنبيﷺ لأنه هو المبلغ عن الله تعالىٰ، هذه هي العقيدة وإليها أشار شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- في مقدمة العقيدة الواسطية بقوله: أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية، ثم ذكر ذلك.

أما المنهج: فهو لغة الطريق، والمقصود به في الاصطلاح الشرعي: هو الطريق الذي تقرر به أحكام الله تعالىٰ في العبادة والمعاملة وكل ما يكون شرعًا أفاده الكتاب الكريم وسنة النبيﷺ، وبهذا يعلم أن الدين عقيدة ومنهج، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فمن فرق بينهما أخطأ.

وعُلم بالاستقراء من أحوال من سبق أنه إذا اختلت العقيدة اختل المنهج وإذا اختل المنهج اختلت العقيدة وإذا اختل المنهج اختلت أحكام الدين، يعني من اختل منهجه وفارق الكتاب والسنة وعلىٰ فهم السلف الصالح لا يحسن أن يعلم الناس أحكام الله ﷻ.

وعلىٰ سبيل المثال الخوارج لما اختل منهجهم ولم يقرروا أحكام الله ﷻ عبادة أو معاملة علىٰ وفق الكتاب الكريم وعلىٰ فهم السلف الصالح ركبوا من أعظم المنكرات باستحلالهم لدماء المسلمين وأموالهم، والحكم علىٰ الفاسق بأنه كافر في الدنيا حلال الدم والمال وخالد مخلد في النار يوم القيامة إذا لم يتب، والمعتزلة اختل عقيدتهم ومنهجهم فكما تعلمون أنكروا صفات الله تعالىٰ فأثبتوا لله أسماء مجردة من المعاني فوافقوا الخوارج بالنسبة للحكم الأخروي للفاسق الملي فحكموا عليه بالآخرة بأنه خالد مخلد في النار، وأما في الدنيا فهو بمنزلة بين المنزلتين عندهم.

وحاصل الكلام أنه لا يجوز التفريق بين العقيدة والمنهج، ومن اختلت عقيدته اختل =

من الأخطاء التي لبس بها الشيطان علىٰ بعض الناس: أنه يجوز أن يكون الرجل سلفي العقيدة إخواني المنهج[(١)].

قال الشيخ الألباني: لا يفترقان، ولا يمكن أن يكون الرجل سلفيًّا إخوانيًّا، لكن سيكون سلفيًّا في بعض، إخوانيًّا في بعض، أو إخوانيًّا في بعض سلفيًّا في بعض، أما أن يكون سلفيًّا علىٰ ما كان عليه الرسولﷺ فهذا أمر مستحيل.

ولكن المنهج أوسع من العقيدة؛ فالذي فرق من أهل العلم بين العقيدة والمنهج إنما يقصد بالتفريق الموضوع.

قال الفوزان في الأجوبة المفيدة: المنهج أعم من العقيدة، المنهج يكون في العقيدة وفي السلوك والأخلاق والمعاملات وفي كل حياة المسلم، كل الخطة

=

منهجه انظروا فيمن حولكم من الجماعات الدعوية الحديثة فجماعة التبليغ يقررون توحيد الربوبية فقط ولا يقررون توحيد الألوهية ولا الأسماء والصفات، فصار عندهم خلل في المنهج ولهذا من قواعدهم أن العلم مسائل وفضائل فهم يهتمون بالفضائل، وهذه الفضائل فيها الحكايات والقصص والخرافات والأحاديث الموضوعة وغير ذلك، فانبنىٰ اختلال منهجهم علىٰ اختلال عقيدتهم.

(١) علق الشيخ هنا: (هو إذا كان سلفيًّا في بعض وغير سلفي في بعض كان مبتدعًا؛ لذلك نبه الإمام أحمد: قال: ومن السنة اللازمة يعني الواجبة معنىٰ ذلك ألا يكون الرجل سنيًّا حتىٰ يلتزم بالسنة كلها.

فعندك الخوارج هم معنا في الصلاة والحج والجهاد ماذا قال النبيﷺ فيهم تحقرون صلاتكم إلىٰ صلاتهم وقرائتكم إلىٰ قرائتهم يخرجون من الإسلام، فلا يكون الرجل سلفيًّا في بعض وإخوانيًّا في بعض يعني مبتدع في بعض، وعلىٰ هذا فهو مبتدع فإذا فارق السنة في أمور ولو في أمر واحد صار مبتدعًا.

التي يسير عليها المسلم تسمىٰ المنهج.

أما العقيدة فيراد بها أصل الإيمان، ومعنىٰ الشهادتين ومقتضاهما هذه هي العقيدة.

الفائدة الخامسة: خطورة الخروج المنهجي.

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ- في كتاب الأجوبة المفيدة: المنهج إذا كان صحيحًا صار صاحبه من أهل الجنة؛ فإذا كان علىٰ منهج الرسول ﷺ ومنهج السلف الصالح يصير من أهل الجنة بإذن الله، وإذا صار علىٰ منهج الضُّلال فهو مُتَوَعَّدٌ بالنار[1] صحَّة المنهج من عدمها يترتب عليها جنة أو نار[2].

الفائدة السادسة: التسمي بالسلفية ضرورة شرعية للتمايز عن أهل البدع؛ لما حدث الافتراق في المسلمين تميز أهل الحق عن أهل الأهواء بألقاب شرعية منها: أهل السنة والجماعة، وأهل الأثر، وأهل الحديث؛ فأصبحت هذه الألقاب والمسميات صفة لازمة لأهل الحق، وأما اليوم فإن كثيرًا من أهل البدع يتسمىٰ بأهل السنة والجماعة كالأشاعرة وغيرهم.

قال الشيخ الألباني: إن الطوائف مهما كانت قريبة من الكتاب والسنة أو بعيدة ولكن بفضل الله ﷻ لا أحد يستطيع أن يقول أنا علىٰ علىٰ منهج السلف إلا الذين فعلًا يتبنون منهج السلف الصالح دعوة ومنهاجًا وسلوكًا. شريط رقم ٨٤٨ سلسلة

---

(١) **قال الشيخ عبيد -حفظه الله-:** هذا كلام طيب: (متوعد لم يحكم له أهل السنة لم يحكموا علىٰ أحد بجنة أو نار تعليق علىٰ المشيئة).

(٢) والواجب اتباع منهج السلف في الدعوة لله وفي التعامل مع المخالف وفي الجرح والتعديل وفي التعامل مع الولاة.

الهدىٰ والنور.

قال الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله-: فلا تجد خلفيًّا لاسيما المنتسبون إلىٰ الجماعات الدعوية الحديثة إلا وهو يكره الانتساب إلىٰ السلفية؛ لأن السلفية ليست مجرد نسبة، بل السلفية تجريد الإخلاص لله وتجريد المتابعة للنبي ﷺ[1].

ولما سئل الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لماذا لا يترك السلفيون هذه التسمية؟

قال: انخلعوا أنتم من الانتساب للحزب الفلاني والحزب الفلاني وانخلعوا من الانتساب للمذهب الفلاني حينئذٍ نقول: نحن مسلمون، أما هذه الأسامي تمثل تفرقًا في الأمة فكرًا وواقعيًّا وتعصبًا مذهبيًّا، فما علينا نحن إذا قلنا نجمع الانتساب هذه كلها في لفظة واحدة لا يستطيع أحدًا من أولئك إذا كان عالمًا بالحق أن يماري أن دعوة السلف هي دعوة الحق، ونحن نستدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]. شريط ٨٤٨ سلسلة الهدىٰ والنور.

الفائدة السابعة: أن العبرة في الانتساب ليست التسمية فقط، وإنما بالاقتداء ظاهرًا وباطنًا بما كان عليه سلف هذه الأمة؛ لأنه ظهر في الأزمنة المتأخرة الكثير ممن يزعم انتسابه لمنهج السلف ويسمىٰ بالسلفية، وربما يلهج بها ليلًا ونهارًا، ولكن أفعاله لا تصدق دعواه.

فالحدادية والقطبية والجماعات التكفيرية والجماعات الحزبية أغلبها تدعي الانتساب لمنهج السلف، وفصل الخطاب يكون بالاقتداء والعمل لا بالدعوىٰ

---

(١) راجع شريط قواعد وأصول في المنهج السلفي للشيخ عبيد الجابري. تسجيلات ابن رجب المدينة النبوية.

والدعاية.

فما فائدة من يدعي السلفية وهو يزعم أنه لا فرق بين السلفي والتبليغي الخرافي؟

وآخر يدعي السلفية ويضع القواعد التي تحمي أهل البدع من مثل منهج الموازنات والمنهج الأفيح، ونصحح ولا نجرح وغيره وغيرها علىٰ شاكلتها وشاكلتهم الكثير؛ فوجب الحذر والحيطة.

* * *

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين).

إن من مميزات المنهج السلفي ومما يميز دعاته: الاهتمام بالتصفية والتربية، ومن أعظم أركان التصفية التحذير من البدع والمبتدعين، فما تفرقت الأمة وضعفت وما تغير الدين عند الكثير وتغيرت عقائدهم بما لا ينكره عاقل إلا بسبب البدع ودعاتها؛ فلذلك اهتم علماء الإسلام منذ العصور الأولىٰ في بيان أهمية الحذر من البدع ودعاتها؛ فهذه أصول مهمة نبه عليها جميع علماء السنة المتقدمين والمتأخرين.

ومع ذلك فأهل السنة في هذا الباب كما هو الحال في غيره وسط بين منهج الحدادية الغلاة الذين لم يسلم من ألسنتهم العلماء كالشيخ الألباني وابن عثيمين، ولا زال أتباعهم يهاجمون علماء السنة في كتبهم ومواقعهم الإلكترونية والله المستعان.

وبين منهج دعاة التميّع الذين لا فرق عندهم بين صاحب سنة وصاحب بدعة، بل المهم التكتل تحت الحزب الفلاني أو الجماعة الفلانية.

فلذلك تحت هذه الفقرة من كلام الإمام أحمد نضع عدة فوائد منها:

الفائدة الأولىٰ: معنىٰ البدعة اصطلاحًا:

البدعة هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، اختار هذا التعريف الشاطبي في الاعتصام.

الفائدة الثانية: أقسام البدع:

أ- **البدع الحقيقية:** وهي التي لم يدل عليها دليل شرعي ولا سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل. ذكره الشاطبي في الاعتصام.

ومثال البدع الحقيقية المنتشرة في بلادنا:

إطلاق النار في اتباع الجنائز.

إقامة المآتم.

إقامة الموالد للنبيﷺ وبعض الصالحين.

ب- **البدعة الإضافية:** هي التي لها شائبتان:

إحداهما: لها من الأدلة متعلق فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرىٰ: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية.

والفرق بينهما في المعنىٰ: إن الدليل من جهة الأصل قائم ومن جهة الكيفية أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها، مع إنها محتاجة إليه، لأن الغالب وقوعها في التعبدات لا في العاديات المحضة مثل صلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة من أول رجب، التأذين للعيدين، الصلوات بعد الأذان مع رفع الصوت وجعلها بمنزلة ألفاظ الأذان.

وعليه؛ فإن البدعة الحقيقية أعظم وزرًا؛ لأنها مخالفة للسنة وخروج ظاهر كالقول بالقدر والتحسين والتقبيح وإنكار خبر الواحد وإنكار الإجماع والقول بالأمام المعصوم وما أشبه ذلك.

الفائدة الثالثة: حكم البدع في الدين:

إن البدع محرمة لأنها ضلالة، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ:٢١] والبدع تشريع لم يأذن به الله تعالىٰ.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**كل بدعة ضلالة**»، وإذا كانت ضلالة فهي محرمة.

وقد أطال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة في ذم البدع وكذلك أقوال السلف في ذمها.

الفائدة الرابعة: أسباب البدع(١):

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله-: الأسباب التي أدت إلىٰ ظهور البدع في الدين تتلخص في الأمور التالية:

الأول: الجهل بأحكام الدين.

الثاني: اتباع الهوىٰ.

الثالث: التعصب للآراء والأشخاص.

الرابع: التشبه بالكفار.

الفائدة الخامسة: خطورة البدع:

أ- أنها سبب للتفرق، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) راجع كتاب عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان (ص١٠٨).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين**» رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وهذين النصين فيهما دلالة واضحة أنه من ترك السنة فقد جانب الصراط المستقيم، ومن أعظم أسباب مجانبة الصراط هي البدع.

ب- سبب للخروج من الدين، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال -عليه الصلاة والسلام- في الخوارج: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» رواه البخاري.

قال إبراهيم النخعي: لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب.

وكان السلف يقولون: البدعة بريد الكفر.

ج- إن البدعة سبب لتغير الدين، وما تغيرت وتبدلت الأديان السابقة إلا بالبدع حتىٰ أصبحت دينًا.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

ولسان حال المبتدع يقول إن الشريعة ناقصة فلذلك يجب استدراكها، وما من بدعة تحدث إلا أماتت مكانها سنة.

د- سبب لعدم قبول العبادة؛ لأن العبادة لا تقبل حتىٰ تكون خالصة لوجه

الله تعالىٰ وعلىٰ شريعته كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» رواه البخاري.

الفائدة السادسة: كشف شبهات من حسَّن البدع:

الشبهة الأولىٰ: الاحتجاج بأثر ابن مسعود: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن»[(١)].

قال الشيخ الألباني: وإن من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس بهذا الحديث علىٰ أن في الدين بدعة حسنة، وأن الدليل علىٰ حسنها اعتياد المسلمين لها! ولقد صار من الأمر المعهود أن يبادر هؤلاء إلىٰ الاستدلال بهذا الحديث عندما تثار هذه المسألة وخفي عليهم:

أ- أن هذا الحديث موقوف فلا يجوز أن يحتج به في معارضة النصوص القاطعة في أن كل بدعة ضلالة كما صح عنه ﷺ.

---

(١) **قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٢/ ١٧)**: لا أصل له مرفوعًا، وإنما ورد موقوفًا علىٰ ابن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون علىٰ دينه فما رأىٰ المسلمون... إلخ. أخرجه أحمد (رقم ٣٦٠٠)، والطيالسي في مسنده (ص ٢٣)، وأبو سعيد ابن الأعرابي في معجمه (٢/ ٨٤) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عنه، وهذا إسناد حسن.

ب- وعلىٰ افتراض صلاحية الاحتجاج به فإنه لا يعارض تلك النصوص لأمور:

الأول: أن المراد به إجماع الصحابة واتفاقهم علىٰ أمر، كما يدل عليه السياق، ويؤيده استدلال ابن مسعود به علىٰ إجماع الصحابة علىٰ انتخاب أبي بكر خليفة، وعليه فاللام في (المسلمون) ليس للاستغراق كما يتوهمون، بل للعهد.

الثاني: إذا سلمنا أنه للاستغراق ولكن ليس المراد به قطعًا كل فرد من المسلمين، ولو كان جاهلًا لا يفقه من العلم شيئًا، فلابد إذن من أن يحمل علىٰ أهل العلم منهم، وهذا مما لا مفر لهم منه فيما أظن، فإذا صح هذا فمن هم أهل العلم؟ وهل يدخل فيهم المقلدون الذين سدوا علىٰ أنفسهم باب الفقه عن الله ورسوله، وزعموا أن باب الاجتهاد قد أغلق؟ كلا ليس هؤلاء منهم. انتهىٰ كلام العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة وليس عليه مزيد.

الشبهة الثانية: حديث: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**»[1]:

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: وليس في الدين بدعة حسنة أبدًا، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة أي يبدأ العمل بها، أو يبعثها بعد تركها، أو يفعل شيئًا يسنه يكون وسيلة لأمر متعبد به؛ فهذه ثلاثة أشياء:

الأول: إطلاق السنة علىٰ من ابتدأ العمل، ويدل له سبب الحديث؛ فإن النبيﷺ حث علىٰ التصدق علىٰ القوم الذين قدموا عليهﷺ وهم في حاجة وفاقة،

---

(١) أكد الشيخ هنا علىٰ ذكر القصة في هذا الحديث لما لأنه توضح معنىٰ الحديث.

فحث علىٰ التصدق، فجاء رجل من الأنصار بصرة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي -عليه الصلاة والسلام-، فقال النبيﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»؛ فهذا الرجل سن سنة ابتداء عمل لا ابتداء شرع.

الثاني: السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحياها؛ فهذا يقال عنه: سنها بمعنىٰ أحياها، وإن كان لم يشرعها من عنده.

الثالث: أن يفعل شيئًا وسيلة لأمر مشروع مثل بناء المدارس وطبع الكتب فهذا لا يتعبد بذاته، ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبيﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**»، والله أعلم.

فإن قال قائل: كيف تجيب عن قول النبيﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**» وسن بمعنىٰ: شرع؟

فالجواب: أن من قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» هو القائل: «**كل بدعة ضلالة**»، ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولًا آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول اللهﷺ أبدًا، ولا يمكن أن يرد علىٰ معنىٰ واحد مع التناقض أبدًا، ومن ظن أن كلام الله تعالىٰ أو كلام رسولهﷺ متناقض فليعد النظر فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير، ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالىٰ أو كلام رسولهﷺ تناقض أبدًا.

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث «**كل بدعة ضلالة**» لحديث: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أن النبيﷺ يقول: «**من سن في الإسلام**» والبدع ليست من الإسلام، ويقول «**حسنة**» والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السنِّ والتبديع.

وهناك جواب لا بأس به: أن معنىٰ «من سن» من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها؛ وعلىٰ هذا فيكون السن إضافيًّا نسبيًّا كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

وهناك جواب ثالث يدل له سبب الحديث: وهو قصة النفر الذين وفدوا إلىٰ النبي ﷺ وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي ﷺ إلىٰ التبرع لهم، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فجعل وجه النبي -عليه الصلاة والسلام- يتهلل من الفرح والسرور، وقال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة**».

فهنا يكون معنىٰ السن سن العمل تنفيذًا وليس العمل تشريعًا، فصار معنىٰ «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» من عمل بها تنفيذًا لا تشريعًا، لأن التشريع ممنوع «**كل بدعة ضلالة**»[1].

الشبهة الثالثة: احتجاجهم بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعمة البدعة هذه»[2]:

قال الشيخ صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «لا قول لأحد بعد قول

---

(١) انظر كتاب الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

(٢) **قال الشيخ هنا معلقًا:** أقول أنا ظهر لي شيء آخر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أراد أن يرد علىٰ من استنكر عليه هذا العمل لعله بلغه من استنكر عليه هذا العمل فقال نعمت البدعة هذه.

الرسول ﷺ؛ فإن النبي ﷺ أعلم الخلق بدين الله، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفصح الخلق فيما يقول، وإذا ثبتت هذه الأمور الثلاثة التي مقتضاها أن يكون كلامه هو حق الذي لا يمكن أن يعارضه شيء من كلام الناس.

فإننا نقول كل هذه التقاسيم التي قسمها بعض أهل العلم مخالفة للنص يجب أن تكون مطرحة، وأن يؤخذ بما دل عليه النص، وكل من قال عن البدعة إنها حسنة، فإنها إما ألا تكون بدعة لكنه لم يعلم أنها بدعة، وإما ألا تكون حسنة لكنه ظنها حسنة، أما أن تكون بدعة حقيقة وحسنة فإن هذا لا يمكن أبدًا؛ لأن هذا يقتضي تكذيب خبر النبي ﷺ حين قال كل بدعة ضلالة.

ومن المعلوم أن الضلالة ليست فيها حسن أبدًا، بل كله سوء وكله جهل، فمن ظن أن بدعة من البدع حسنة فإنه لا يخلو من إحدىٰ الحالين اللتين ذكرناهما آنفًا وهما إما ألا تكون بدعة وإما ألا تكون حسنة، وإلا فكل بدعة سيئة وضلالة وليست بحسنة.

فإن قلت: ما الجواب عن قول عمر بن الخطاب ﷺ حين جمع الناس في قيام رمضان علىٰ أبي بن كعب وعلىٰ تميم الداري وأمرهما أن يصلوا بالناس إحدىٰ عشرة ركعة، ثم خرج والناس يصلون فقال: نعمت البدعة هذه، فسماها عمر بدعة وأثنىٰ عليها بقوله: نعمت البدعة؟

فالجواب: أن عمر لم يسميها بدعة لأنها بدعة محدثة في دين الله، ولكنها مجددة فسماها بدعة باعتبار تجديدها فقط، وإلا فإنها ثابتة بشريعة النبي ﷺ؛ فإنه قد ثبت أن رسول الله ﷺ قام في الناس ثلاث ليالي في رمضان ثم تأخر -عليه الصلاة والسلام- في الليلة الرابعة وقال: «**إني خشيت أن تفرض عليكم**».

ومقتضىٰ هذا أنها سنة لكن تأخر النبيﷺ عن ملازمتها لئلَّا تفرض علىٰ الناس فيلتزموا بها، وبهذا يتبين أن قيام الناس في رمضان جماعة في المساجد من هدي النبيﷺ ومن سنته وليس من بدع عمر بن الخطاب كما يظنه من لا يفهم الخطأ»[1].

* * *

(١) انظر مجموع فتاوىٰ الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء):

الواجب علىٰ المسلم: ترك الشر والابتعاد عن تعاطي أسبابه وقطع كل الذرائع الموصلة إليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٦٨-٧٠].

ومن الأسباب المؤدية إلىٰ البدع: الجلوس مع أصحاب البدع، أو مجادلتهم بغير علم.

قال ابن كثير في شرحه للآية المتقدمة: والمراد بذلك كل فرد فرد من آحاد الأمة ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها علىٰ غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسيًا: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ بعد التذكر ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وكلام الإمام هنا يذكرنا بجموعه من الفوائد ذكرها أهل العلم في كتبهم ومقالاتهم منها:

الفائدة الأولىٰ: معنىٰ وحكم المجادلة وأنواعها:

قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح لمعة الاعتقاد: الجدال: مصدر جادل، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس الجدل: اللدد في الخصومة، والخصام: المجادلة فهما بمعنىٰ واحد.

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلىٰ قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا بحسب الحال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾.

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت، أو الانتصار للنفس، أو للباطل؛ فهذا قبيح منهي عنه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

قال السعدي في التفسير: يخبر -تبارك وتعالىٰ- أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا، والمراد بالمجادلة هنا: المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل، فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالىٰ الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل.

قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما علىٰ الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ و: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾. انظر تفسير البغوي في تفسير هذه الآية.

وفرَّق الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- بين المراء والجدال والمناقشة؛ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعندنا الآن: مراء وجدال ومناقشة.

المراء: أن يجادل لينتصر قوله.

الجدال: أن يجادل لانتصار الحق.

المناقشة: قد يكون يناقش مع أستاذه لأجل أن يتبين له العلم[١].

الفائدة الثانية: المجادلة بالتي هي أحسن من مراتب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: فإذا كان الإنسان عنده شيء من المجادلة فيجادل، والمجادلة بالتي هي أحسن أي من حيث المشافهة، فلا تشدد عليه ولا تخفف عنه، انظر ما هو أحسن[٢].

الفائدة الثالثة: يستحب لطالب العلم أن يمرن نفسه علىٰ كيفية إقناع المدعو بالحجج والبراهين، وكيفية الاستدلال واستحضار الدليل المناسب علىٰ المسألة المتنازع عليها.

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: لكن التمرن علىٰ المجادلة لإثبات الحق أمر لابد منه، فكثير من الناس عنده علم واسع لكنه عند المجادلة لا يستطيع إثبات الحق[٣].

الفائدة الرابعة: المقصود بالمماراة المنهي عنها في الحديث:

---

(١) انظر كتاب لقاء الباب المفتوح للشيخ العثيمين، انظر منهج الرسل في الدعوة إلىٰ الله للشيخ الفوزان.

(٢) انظر شرح رياض الصالحين للعثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

(٣) انظر كتاب العلم للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- الفصل الثاني فتاوىٰ حول العلم سؤال رقم (٨٨).

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: وهنا مسألة: وهي أن بعض الناس يتحرج من المجادلة حتىٰ وإن كانت حقًّا استدلالًا بحديث: «**وأنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا**» فيترك هذا الفعل.

فالجواب: من ترك المراء في دين الله فليس بمحقٍّ إطلاقًا؛ لأن هذا هزيمة للحق، لكن قد يكون محقًّا إذا كان تخاصُمه هو وصاحبه في شيء ليس له علاقة بالدين أصلًا، قال: رأيت فلانًا في السوق، ويقول الآخر: بل رأيته في المسجد، ويحصل بينهما جدال وخصام؛ فهذه هي المجادلة المذكورة في الحديث، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق فليس بمحقٍّ إطلاقًا فلا يدخل في الحديث. انظر كتاب العلم للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

الفائدة الخامسة: لماذا حذر علماء السلف عن مناظرة أهل الأهواء؟

لأنه من صفات أهل الضلال، قال تعالىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ﴾.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَا ضَلَّ قَومٌ بَعدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**»[1]. فلذلك كان السلف ينهون عن مجادلتهم.

قال أبو داود: وسمعت أحمد سئل عن القدري يعني يجادل قال: ما يعجبني، قال: لا يدعني، قال: أحرىٰ ألا تكلمه إذا كان صاحب جدال. ذكره ابن بطة في الإبانة في باب القدر.

حيث قال: ويتجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين

---

(١) حسنه الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في صحيح الجامع (٥٦٣٣).

ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضَرَّت وجَرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت.

وقد أنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١ هـ: تجنبوا أصحاب الجدال والكلام عليكم بالسنن وما كان عليه أهل العلم قبلكم؛ فإنهم كانوا يكرهون الكلام والخوض في أهل البدع والجلوس معهم، وإنما السلامة في ترك هذا. انظر مسائل الإمام أحمد (٢/ ١٦٦).

الفائدة السادسة: انتشر في الآونة الأخيرة المجادلات والمناظرات العلنية بين من يدعي السلفية وبين الطوائف الأخرىٰ، وهذه المناظرات العلنية أمام الناس فيها من الشر الشيء الكثير منه:

* أن غالب المتصدرين لهذه المناظرات غير مؤهلين علميًّا[1].

* إن غالب المتصدرين لهذه المناظرات ممن عليه مؤاخذات عقدية ومنهجية.

* هذه المناظرات بهذه الصورة ليس من منهج كبار علمائنا الذين نشروا عقيدة السلف بغير هذه المناظرات.

* هذه المناظرات قد تسبب في إلقاء الشبه التي ربما تتعلق في أذهان

---

(١) قال الشيخ -حفظه الله تعالىٰ- مؤيدًا: حتىٰ صالح المغامسي الجاهل يخرج علىٰ هذه القنوات.

العامة فلا يستطيعون إزالتها.

* إثارة العداوات والشحناء بين المتناظرين وأتباعهم.

* الغالب في هذه المناظرات يكون قصد المتناظرين الغلبة والانتصار للنفس[1].

* قد يؤذىٰ أهل السنة في البلدان التي يكونون فيها مستضعفين، ويزداد الأذىٰ عليهم من قبل حكوماتهم، كما حصل عندنا هنا في العراق حيث يمتحن ويؤذىٰ صاحب السنة ويوصف بالعرعورية؛ لأن بعض المتصدرين لهذه المناظرات يسمىٰ عرعور.

الفائدة السابعة: موقف السلف من أهل البدع:

أجمع السلف علىٰ التحذير من أهل البدع يعرف ذلك من سبر سيرة السلف رضي الله عنهم، وهنا أذكر بعض الآثار عن السلف كشاهد للمقال في هذا المقام:

عن سليمان بن يسار أن رجلًا يقال له صبيغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضربًا حتىٰ دمي رأسه؛ فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. سنن الدارمي (ج١/ ص٦٦رقم ١٤٤).

قال فضيل بن عياض رحمه الله: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

وقال: لا تجلس مع صاحب بدعة؛ فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة. انظر شرح السنة للبربهاري (ص١٣٨)، والإبانة لابن بطة (٢/ ٤٦٠).

---

(١) سألت الشيخ هنا: هل عندكم إضافة يا شيخ ؟ فقال: هذا جميل علىٰ بركة الله.

وقد تواترت الآثار عن السلف في التحذير من أهل الأهواء والبدع، فهذه بعض الآثار نسوقها لك أخي طالب الحق:

قال أبو قلابة: «لا تجالسوهم -يعني: أهل البدع- ولا تخالطوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم كثيرًا مما تعرفون». اللالكائي (١/ ١٣٤)، البدع والنهي عنها (٥٥)، الاعتصام (١/ ١٧٢).

وقال إبراهيم النخعي: «لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم؛ فإني أخاف أن ترتد قلوبكم» البدع والنهي عنها (٥٦)، الاعتصام (١/ ١٧٢).

وقال أبو قلابة: «يا أيوب -السختياني- لا تَمكِّن أصحاب الأهواء من سمعك» اللالكائي (١/ ١٣٤).

وقال الفضيل بن عياض: «إذا رأيت مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر» الإبانة (٢/ ٤٧٥).

وسُئِل أبو زرعة عن الحارث بن أسد المحاسبي وكتبه؛ فقال للسائل: «إياك وهذه الكتب، هذه كتب بدع وضلالات، عليك بالأثرة» قيل له: في هذه الكتب عبرة، فقال: «من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه عبرة» ثم قال: «ما أسرع الناس إلىٰ البدع» التهذيب (٢/ ١١٧)، تاريخ بغداد (٨/ ٢١٥).

وقال الإمام أحمد في حق المحاسبي كلامًا عنيفًا لما سُئل عنه؛ فمما قاله للسائل: «لا تغتر بتنكيس رأسه؛ فإنه رجل سوء لا تكلمه، ولا كرامة له» راجع رقم (٤٩).

فهذا منهج السلف في التعامل مع أهل البدع وموقفهم من كتبهم وسماع كلامهم، وقِس ذلك علىٰ أشرطتهم فإن شقشقة الكلام في الأشرطة أخطر.

فليت شعري هل يفطن شبابنا لهذا المنهج، ويَحذوا أشرطةَ وكتب أهل البدع والأهواء في عصرنا هذا ؟

سئل الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: ما هو القول الحق في قراءة كتب المبتدعة وسماع أشرطتهم ؟

ج- لا يجوز قراءة كتب المبتدعة[1]، ولا سماع أشرطتهم؛ إلا لمن يريد أن يَرُدَّ عليهم ويُبيِّن ضلالهم، أما الإنسان المبتدئ، وطالب العلم، أو العامي، أو الذي لا يقرأ إلا لأجل الاطلاع فقط، لا لأجل الرَّد وبيان حالها؛ فهذا لا يجوز له

---

(١) **قال الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-**: إلا لعالم متمكن يريد الرد عليهم، فنتاج المبتدعة من كتب وأشرطة تقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الاول: لا يحل النظر فيه إلا لعالم متمكن يريد الرد عليهم من كتبهم، وهذا ما كان كله بدعة وليس في من الحق شيء يمثل لهذا كتب الرافضة كأصول الكافي للكليني وفصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب لكاتب نسيت اسمه.

القسم الثاني: ما كان خليطًا من سنة وبدعة، وهذا لا يحل النظر فيه إلا لعالم يميز بين السنة والبدعة فيفيد منه هذا يمثل له بالكشاف للزمخشري والرجل معتزلي، ومن مكره أنه يدس معتزلياته؛ ولهذا قال بعض أهل العلم استخرج اعتزليات الزمخشري بالمناقيش، فالكشاف للزمخشري فيه فائدة من حيث الصرف والنحو والمعاني واللغة وفيه أحاديث صحيحة.

القسم الثالث: ما كان خالصًا محضًا ليس فيه من البدع شيء، لكن صاحبه مبتدع يشتغل في التحقيق يقول أنا مثلًا أحقق في النحو أحقق في الفقه ليس لي شغل متعيش، إن صح التعبير نقول متعيش يخرج كتابًا في الفقه كتابًا في النحو يخرج كتابًا في الحديث يحقق يذكر علل الحديث ولا يدس شيئًا، همه أن يعيش فهذا الأمر فيه واسع، وكتب السنة فيها غنية.

قراءتها؛ لأنها قد تؤثر في قلبه[١].

ولقد تضافرت الأقوال عن أهل العلم في التحذير من أهل البدع كابن بطة في كتاب الإبانة، والإمام أبي محمد عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث، وقول الإمام السمعاني، والإمام البغوي، وابن قدامة، والقرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي، ومحمد بن عبد الوهاب، والشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ العثيمين، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ عبيد الجابري، والشيخ صالح السحيمي.. وهذا هو منهج السلف من العلماء في البراءة من أهل البدع

الفائدة الثامنة: تحريم مجالسة أهل البدع والأهواء والدراسة عندهم:

إذ من منهج أهل السنة في حكم أهل البدع وحكم معاملتهم عدم الدراسة عندهم، وهذه مسألة مهمة في منهج أهل السنة؛ فلذلك كل من خالف منهج أهل السنة في هذا الباب قد وقع في حبال أهل البدع إن لم يكن أضر منهم.

الأدلة على هذا الحكم:

أولًا: القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

ثانيًا: السنة:

ما ذكره مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**سيكون في آخر**

---

(١) انظر كتاب الأجوبة المفيدة للشيخ صالح الفوزان مع الحاشي.

أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم؛ فإياكم وإياهم» أخرجه الإمام مسلم، صحيح مسلم عن أبي هريرة رقم (١٦ج١/ ص١٢).

والشاهد من الآية والحديث علىٰ تحريم الدراسة عند أهل البدع لأن النهي عن المجالسة يدخل فيه من باب أولىٰ الدراسة عندهم.

ومن المؤسف أنك ترىٰ كثير ممن ينتسب إلىٰ السلفية قد تهاونوا في الأصل؛ فأصبحوا لا يبالون مع من يجلسون ومع من يتعاملون ومع من يأكلون ويشربون، فميعوا هذا الجانب من جوانب المنهج، وهو أصل مجمع عليه كما مر من قبل.

الفائدة التاسعة: حكم قراءة كتب أهل الأهواء:

حذر علماء السلف من قراءة كتب أهل الأهواء:

قال الإمام أحمد: إياكم أن تكتبوا عن أحد من أصحاب الأهواء قليلًا ولا كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن. سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣١).

وكان أبو حاتم وأبو زرعة ينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين. انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٩).

بعض المناهج المخالفة لمنهج أهل السنة في كيفية التعامل مع المخالف:

من المعلوم أن أهل السنة وسط بين الفرق الإسلامية، كما أن أمة الإسلام أمة وسط بين الأمم كما قرر ذلك شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

ومن المسائل المهمة التي تميز بها أهل السنة عن غيرهم هي كيفية التعامل مع الخلاف والمخالف، وقبل معرفة المناهج التي خالفت أهل السنة في باب كيفية التعامل مع المخالف يحسن بنا ذكر بعض المسائل في هذا الباب.

منهج أهل السنة والجماعة في ضبط مسائل الخلاف:

*** أهل السنة يفرقون بين اختلاف التنوع وبين اختلاف التضاد:**

قال شيخ الإسلام في بيان هذه الضوابط: أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد:

واختلاف التنوع: علىٰ وجوه، منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًّا مشروعًا كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتىٰ زجرهم رسول الله ﷺ عن الاختلاف وقال كلاكما محسن، ومثله: اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وصلاة الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنازة إلىٰ غير ذلك مما شرع جميعه، وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل.

وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون المصيب واحد، وإلا فمن قال كل مجتهد مصيب فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد.

وفي أسباب الاختلاف يقول شيخ الإسلام: وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحو ذلك؛ فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبته ليتميز عليه، أو يحب قول من يوافقه في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك؛ لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له وما أكثر هذا في بني آدم وهذا ظلم.

ويكون سببه تارة أخرىٰ جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر، أو جهل أحدهما بما مع الآخر

من الحق في الحكم أو في الدليل وإن كان عالمًا بما مع نفسه من الحق حكمًا ودليلًا.

والجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سبحانه: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾. انظر اقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٨).

وضبط هذه المسألة له علاقة كبيرة في منهج الشخص، ذلك أن جعل أي خلاف حاصل بين المسلمين هو من قبيل اختلاف التنوع يؤدي ذلك إلىٰ تميع قضية مخالفة أهل البدع بدعوىٰ أن كلًّا عنده أدلته وعلمائه.

*** أهل السنة والجماعة يفرقون بين المسائل الخلافية التي ينكر علىٰ المخطأ فيها، وبين المسائل الاجتهادية التي ليس فيها نص صريح ولا إجماع:**

قال ابن القيم في كتابه الكبير أعلام الموقعين (٢/ ٢٨٨): باب خطأ من يقول لا إنكار في مسائل الخلاف:

وقولهم إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها ليس بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلىٰ القول والفتوىٰ أو العمل، أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعًا شائعًا وجب إنكاره اتفاقًا إن لم يكن كذلك، فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله.

وأما العمل: فإذا كان علىٰ خلاف سنة أو إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار، وكيف يقول فقيه لا إنكار في المسائل المختلف فيها والفقهاء من سائر الطوائف قد صرحوا بنقص حكم الحاكم إذا خالف كتابًا أو سنة وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء؟

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر

علىٰ من عمل بها مجتهدًا أو مقلدًا، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد، كما اعتقد ذلك طوائف من الناس ممّن ليس لهم تحقيق في العلم.

والصواب ما عليه الأئمة: أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبًا ظاهرًا، مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها إذا عدم فيها الدليل الظاهر الذي يجب العمل به الاجتهاد لتعارض الأدلة، أو لخفاء الأدلة فيها، وليس في قول العالم أن هذه المسألة قطعية أو يقينية، ولا يسوغ فيها الاجتهاد طعن علىٰ من خالفها ولا نسبة له إلىٰ تعمد خلاف الصواب.

والمسائل التي اختلف فيها السلف والخلف وقد تيقنا صحة أحد القولين فيها كثير، مثل كون الحامل تعتد بوضع الحمل، وأن إصابة الزوج الثاني شرط في حلها للأول، وأن الغسل يجب بمجرد الإيلاج وإن لم ينزل، وأن ربا الفضل حرام، وأن المتعة حرام، وأن النبيذ المسكر حرام، وأن المسلم لا يقتل بكافر، وأن المسح علىٰ الخفين جائز حضرًا وسفرًا.

أما المناهج التي خالفت أهل السنة في باب التعامل مع المخالف فتنقسم من حيث الجملة إلىٰ عدة أقسام منها:

الأول: منهج الحدادية المتمثل بفكر بمحمود الحداد ومن سار علىٰ نهجه[1].

---

(١) **التعريف بالحدادين**: تنسب هذه الجماعة إلىٰ محمود الحداد نزيل المدينة المنورة سابقًا وله بعض التخريجات وقدموّه علىٰ البقاء بفتح أزار ثوبه حتىٰ تبدو سرته، وهو مصري الولادة، وقد بدأت هذه الفرقة أول ما بدأت بالطعن والتشهير بالحافظ ابن حجر =

الثاني: منهج المميّعة المتمثل بجماعة الإخوان المسلمين ومن سار علىٰ طريقتهم في التهوين من شأن البدع، وإنشاء مراكز للتقريب بين أهل السنة وأهل الخرافة والبدع، بل والدعوة إلىٰ التقارب بين الأديان[1].

=

العسقلاني وكذلك النووي في مجالسهم ابتداءً ودعوة الناس إلىٰ تبديعهم علانية وقد وصل بهم الحال إلىٰ الطعن في العلامة ابن باز والفوزان والألباني وغيرهم.

وأمَا سيدهم (محمود الحداد) فإنه يطعن فيمن يوصي بكتاب العقيدة الطحاوية وشرحه فيقول درج كثير من أهل السنة المعاصرين علىٰ الوصية بكتاب العقيدة الطحاوية وشرحه وينكر علىٰ الشيخ الألباني تخريجه للكتاب بدون تنبيه.

إن من تناقض (محمود الحداد) أنه لا يرىٰ ولا يجيز قراءة كتب المبتدعة وأهل البدع والنظر فيها، وهذا صواب إلا أن هناك فرقًا بين من هو داعية إلىٰ البدع ومكابر في الحق وبين من وقع عن اجتهاد وتأويل وهو ناصر للسنة وديدنه السنة وخادم لكتب السنة بصدق.

إن الحداد بتنقيصه لأهل السنة وتطاوله عليهم أمثال ابن باز والعثيمين والألباني فلم يسلم من لسانه أهل السنة، وسلم من لسانه أهل الأحزاب والأفكار المنحرفة التي ظهرت في مصر، ونحن في بلادنا العراق يوجد من وقع في هذا الفكر ولو بغير قصد والبارز من منهج الحدادين عدم الانضباط بأصول أهل السنة في الجرح.

(١) **حزب الإخوان المسلمين:**

هو من أكبر الجماعات الحزبية المنظمة وأخطرها علىٰ الدعوة السلفية ومنها تفرعت أكثر الجماعات الحزبية الخارجية وهي تنقسم إلىٰ أقسام منها:

البنائية: نسبة للمؤسس حسن البنا، والقطبية نسبة إلىٰ سيد قطب، والسرورية نسبة إلىٰ محمد سرور، ومن القطبية تفرعت جماعة التكفير والهجرة في مصر والجماعة الإسلامية وجماعة التوحيد والجهاد.

=

الثالث: منهج الموازنات، وهو منهج مبتدع القصد منه حماية أهل البدع وذلك بحجة أن عنده حسنات والواجب أن تذكر، ثم التركيز علىٰ ما يعتقدونه حسنات وإهمال الطامات العقدية والمنهجية عندهم[1].

=

وسأذكر هنا بعض قادة الإخوان مع بعض أقوالهم ليتعرف المسلم علىٰ حقيقة هذه الدعوة التي تعرف بكلام المنظرين لها، أما العوام والجهلة الذين يتعاطفون مع قادة الإخوان فلا يعلمون حقيقة هذه الجماعة:

حسن البنا: هذه مجموعة من أقواله تدل علىٰ عقيدته ومنهجه:

إن خصومتنا لليهود ليست دينية. من كتاب الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١/ ٤٠٩).

ويقول: من عادتنا أن نخرج في ذكرىٰ مولد الرسولﷺ بالمواكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلىٰ ثاني عشر منه ننشد القصائد.

ومما كان ينشده:

هـذا الحبـيب مـع الأحـباب قـد حـضرا وسـامح الكـل فـيما قـد مـضىٰ وجـرىٰ

انظر مذكرة الدعوة والدعاة (٢٢/ ٢٣).

ويعرف جماعته بقوله: دعوة الإخوان المسلمين دعوة سلفية سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية وشركة اقتصادية وفكرة جماعية. انظر مجموعة رسائل حسن البنا (٣٥٨).

ومن هذا التعريف تتعرف علىٰ حقيقة الإخوان التجميعية التميعية المتلونة.

(١) **منهج الموازنات**:

منهج الموازنات في النقد وهذا المنهج معناه أنه يجب ذكر محاسن أهل البدع عند النقد والتجريح، وكما هو معلوم من استقراء أحوال الفرق والمناهج فإنها لا تزال تتشعب وتتكاثر وتتنوع، ومن هذه المناهج المبتدعة الذي ابتدع لحماية أهل البدع والأهواء هو

=

=

منهج الموازنات، وذلك أنه لما ظهر الحق في بيان خطورة البدع فأراد أهل الأهواء والأحزاب الذين تجمعهم الأصول السياسية الدفاع عن رموزهم السياسية بقولهم أن لهم حسنات لابد أن تذكر؛ لأنهم قد عجزوا أمام النقد العلمي عن تبرئة رموزهم عن البدع لأنها أشهر من أن تذكر.

فلذلك ابتدعوا هذا المنهج الباطل ليقولوا وإن كانت عندهم بدع لكن عندهم الحسنات ثم يعظّمون ما يعتقدونه حسنات، وإذا بهم يركّزون علىٰ ما يعتقدونه حسنات وينسون ذكر البدع التي وقع بها هؤلاء الرموز.

هذا من جانب ومن جانب آخر هم لا يطبقون هذا المنهج المزعوم علىٰ من أخطأ من علماء السنة وولاتها فتراهم يتتبعون زلة كل عالم سنة، وكذلك ذكر زلات الولاة في المحافل العامة، ولما كان هذا المنهج له آثار سلبية علىٰ كثير من الشباب كان من الواجب بيان هذا المنهج.

كلام أهل العلم في نقد منهج الموازنات:

سئل ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أناس يوجبون الموازنة، إنك إذا انتقدت مبتدعًا ببدعته لتحذير الناس يجب أن تذكر حسناته حتىٰ لا تظلمه؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ما هو بلازم وما هو بلازم، ولهذا إذا قرأت كتب أهل السنة وجدت المراد التحذير، اقرأ في كتاب البخاري خلق أفعال العباد في كتاب الأدب في الصحيح اقرأ كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، كتاب التوحيد لابن خزيمة، إلىٰ غير ذلك يوردونه للتحذير من باطلهم، ومحاسنهم لا قيمة لها بالنسبة لمن كفر لمن كانت بدعته تكفره بطلت حسناته، وإذا كانت غير مكفرة فهو علىٰ خطر.

فالمقصود بيان الأخطاء والأغلاط التي يجب الحذر منها. مسجل في دروس الشيخ التي ألقاها عام ١٤١٣ هـ في الطائف.

قال الشيخ الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ **في لقاء الباب المفتوح (ص١٥٣)**: عندما نريد أن نقوم الشخص فيجب ان نذكر المحاسن والمساوئ؛ لأن هذا هو الميزان العدل، وعندما

=

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوىٰ).

الفائدة الأولىٰ: أشار الإمام أحمد هنا إلىٰ أن السنة المقصود بها كل ما ورد عن النبي ﷺ؛ لذلك سمي أهل الحديث بأهل السنة، وسمي أهل الآثار بأهل السنة؛ لشدة اهتمامهم بالنصوص والعمل بها.

وفي هذه العبارة إشارة إلىٰ منهج أهل السنة الذي يعتمد علىٰ النص في التلقي بخلاف أهل البدع وأهل الكلام، فأعظم[1] أصول أهل السنة الاعتماد في تلقيهم علىٰ الكتاب والسنة.

وهنا لابد من الإشارة إلىٰ:

أولًا: ضرورة تقيد مصادر التلقي بالكتاب والسنة الصحيحة.

ثانيًا: حصر فهم الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.

=

نحذر من أخطاء شخص فنذكر الخطأ فقط لأن المقام مقام تحذير ومقام التحذير ليس من الحكمة فيه أن نذكر المحاسن لأنك إذا ذكرت المحاسن فإن السامع سيبقىٰ متذبذبًا فلكل مقام مقال.

وكذلك حذر من منهج الموازنات العلامة المحدث الشيخ الألباني وكذلك الشيخ صالح الفوزان واللحيدان والعبّاد وغيرهم من العلماء.

(١) كانت في الأصل: (فمن أعظم) فأمر الشيخ بحذف (من) لأنه يفهم منه أن هناك أصول غير الكتاب والسنة مستقلة؛ فقال -حفظه الله-: امسح (من) ما عندنا غير الكتاب والسنة.

ثالثًا: أخذ هذا الفهم من العلماء المشهود لهم بالرسوخ في علم الكتاب والسنة.

رابعًا: لابد من معرفة العلماء في كل مكان وزمان حتىٰ يتميز علماء أهل السنة من علماء أهل البدع من جهة وحتىٰ يتميز العلماء من الأدعياء من جهة أخرىٰ[١].

الفائدة الثانية: بيان منزلة السنة من القرآن[٢].

قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه منزلة السنة في الإسلام: فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولًا، أو نحمله شبهة أو شكًّا، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فنوحده ﷺ بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما نوحد المرسل ﷻ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

وجملة القول: أن الواجب علىٰ المسلمين جميعًا ألا يفرقوا بين القرآن والسنة من حيث وجوب الأخذ بهما كليهما وإقامة التشريع عليهما معًا؛ فإن هذا هو الضمان لهم ألا يميلوا يمينًا ويسارًا، وألا يرجعوا القهقرىٰ ضلالًا، كما أفصح

---

(١) إن معرفة العلماء له علاقة كبيرة في استدامة العبد علىٰ المنهج الحق، ومثال ذلك لما حدثت فتنة التكفير كان أهل السنة يذكرون كلام العلماء مثل ابن باز وابن عثيمين والألباني -رحمهم الله تعالىٰ-، وكان أهل البدع الذين عبرت عليهم شبه التكفيرية يحتجون بفلان وعلان المجهولين المغمورين ويضربون كلام العلماء بكلام هؤلاء المجهولين.

(٢) **قال الشيخ**: فالسنة تبين المجمل وتقيد المطلق وتخصص العام.

عن هذا رسول الله ﷺ بقوله: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتىٰ يردا علىٰ الحوض**» رواه مالك بلاغًا والحاكم موصلًا بإسناد حسن.

فالسنة تبين معنىٰ القرآن والسنة تخصص ما عمم في القرآن، والسنة تقيد ما أطلق في القرآن.

الفائدة الثالثة: القياس المنهي عنه هو: إما مصادم للنص، أو القياس في باب العقائد وخصوصًا في باب الأسماء والصفات، وأما القياس الذي استوفىٰ شروطه فلا بأس به[1].

وقد فصل الإمام ابن القيم في كتابه الكبير إعلام الموقعين الكلام في مسألة القياس بين المجيزين له والمانعين له.

الفائدة الرابعة: الناس في مسألة القياس طرفان ووسط، فمنهم من جعله أصل ومقدم علىٰ النص، ومنهم من رده جملة وتفصيلًا كالظاهرية، أما أهل السنة فيعملون به إذا استوفىٰ شروطه وكانت الضرورة ملحة للقياس.

الفائدة الخامسة: الأمثال المنهي عنها التي تضرب لمقابلة النص أو رد النص، أما الأمثال التي تضرب من أجل توضيح الشيء المذهون بما هو محسوس فلا بأس به.

وفي القرآن والسنة الكثير من الأمثال التي ضربت لبيان عقيدة التوحيد، أو بيان المنهج الصحيح، أو بيان الأخلاق والسلوك التي يجب علىٰ المسلم أن يكون عليها.

---

(١) **قال الشيخ**: مع الحاجة إليه.

الفائدة السادسة: أصل كل شر اتباع الهوىٰ، كما أنه أصل كل خير اتباع الهدىٰ.

الفائدة السابعة: أن من مميزات دعوة السلف: الدعوة إلىٰ تجريد التوحيد لله تعالىٰ، وكذلك الدعوة إلىٰ تجريد المتابعة للنبيﷺ.

* * *

قال الإمام أحمد:

(ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يُقال لِمَ ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان بها)[1].

قال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ- في شرحه لهذه العبارة من أصول السنة: «هذه الفقرة مهمة جدًّا ،الإمام أحمد سيصف لنا أصولًا من ترك شيئًا منها فليس من أهل السنة، يعني: يخرج عن دائرة السنة إلىٰ البدعة، تنبهوا لهذا».

فالإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، وأدلته من القرآن والسنة كثيرة:

منها: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وكذلك من السنة حديث جبريل المشهور وفيه: «**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**».

وبدعة القدر من أوائل البدع التي ظهرت في المسلمين وأدركت عصر الصحابة، وهي من البدع الخطيرة؛ لذلك كان موقف السلف منها حازمًا.

وهنا بعض الأسئلة تتعلق بهذا الأصل منها:

كيف واجه الصحابة ﷺ هذه البدعة؟

---

(١) **قال الشيخ:** لم يكن من أهل السنة معناه يعني قد يكون بعض المبتدعة عنده في الألوهية في الأسماء والصفات في الربوبية، ما عليه غبار لكن مثلًا في الصلاة عنده بدع فإذا أصر عليها مع بيان الحق له صار مبتدعًا مضادًّا، فهمتم؟

وكيف ردوها ؟

وكيف عاملوا أهلها ؟

وهل سكتوا عنها ؟

وما هي الدروس المنهجية التي نستفادها من موقف الصحابة تجاه هذه البدعة وغيرها؟

هذه الأسئلة جوابها في حديث ابن عمر ﷺ الذي خرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، وبيان الدليل علىٰ التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه.

فعن ابن بريدة عن يحيىٰ بن يعمر قال: كَانَ أَوَّلَ مَن قَالَ فِي القَدَرِ بِالبَصرَةِ مَعبَدٌ الجُهَنِيُّ، فَانطَلَقتُ أَنَا وَحُمَيدُ بنُ عَبدِ الرَّحمَنِ الحِميَرِيُّ حَاجَّينِ أَو مُعتَمِرَينِ فَقُلنَا: لَو لَقِينَا أَحَدًا مِن أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي القَدَرِ.

فَوُفِّقَ لَنَا عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ دَاخِلًا المَسجِدَ فَاكتَنَفتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَن يَمِينِهِ وَالآخَرُ عَن شِمَالِهِ فَظَنَنتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلتُ: أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ إِنَّهُ قَد ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقرَءُونَ القُرآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ العِلمَ وَذَكَرَ مِن شَأنِهِم وَأَنَّهُم يَزعُمُونَ أَن لَا قَدَرَ وَأَنَّ الأَمرَ أُنُفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخبِرهُم أَنِّي بَرِيءٌ مِنهُم وَأَنَّهُم بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: لَو أَنَّ لِأَحَدِهِم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنهُ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ.

ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قَالَ: بَينَمَا نَحنُ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ إِذ طَلَعَ عَلَينَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَىٰ عَلَيهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسنَدَ رُكبَتَيهِ إِلَىٰ رُكبَتَيهِ

وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخبِرنِي عَن الإِسلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسلَامُ أَن تَشهَدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إِن استَطَعتَ إِلَيهِ سَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقتَ. قَالَ: فَعَجِبنَا لَهُ يَسأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن الإِيمَانِ؟ قَالَ: «**أَن تُؤمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**» قَالَ: صَدَقتَ.

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن الإِحسَانِ؟ قَالَ: «**أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن السَّاعَةِ؟ قَالَ: «**مَا المَسئُولُ عَنهَا بِأَعلَمَ مِن السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخبِرنِي عَن أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: «**أَن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَن تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنيَانِ**».

قَالَ: ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدرِي مَن السَّائِلُ؟**»، قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبرِيلُ أَتَاكُم يُعَلِّمُكُم دِينَكُم**».

الفوائد المنهجية المستفادة من هذا الحديث:

* لا يجوز السكوت إذا حدث ما يخالف المنهج السلفي؛ فالصحابة لم يسكتوا، إنما بينوا وحذروا من بدعة القدر، وفي هذا بيان خطأ منهج الآمر بالسكوت علىٰ الأخطاء التي تقع من بعض الوعاظ ولو كانت الأخطاء منهجية أو عقدية بحجة تعلق الناس بهم[1].

---

(١) **قال الشيخ عبيد الجابري** -حفظه الله-: المخالفة ترد، فالصحابة ردوا علىٰ بعضهم، فعبادة بن الصامت قيل له: يقول أبو محمد: الوتر واجب، قال: كذب أبو محمد سمعت =

=

رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات كتبهن الله علىٰ العباد في اليوم والليلة**» الحديث بمجموع طرقه صحيح أخرجه البغوي وأبو داود السجستاني والطيالسي وغيرهم وهو صحيح.

ومن طرائف ما يروىٰ: ما رواه الذهبي في بعض كتبه عن عاصم الأحول رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كنا في مجلس قتادة فقلت: ما أرىٰ أهل العلم بعضهم يقع في بعض، قال: فالتفت إلي يعني قتادة والقائل عاصم فقال: أما تدري يا أحول أن الرجل إذا ابتدع بدعة يجب أن يذكر ليحذر، ما عندهم هذا السكوت.

وقال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ- في كتاب إتحاف القاري شرح السنة للبربهاري (ج١ ص٩٢ - طبعة الرشد):

«هذا الذي خرج عن الحق متعمدًا لا يجوز السكوت عنه، بل يجب أن يكشف أمره ويفضح خزيه حتىٰ يحذره الناس، ولا يقال: الناس أحرار في الرأي، حرية الكلمة، احترام الرأي الآخر، كما يدندنون به الآن من احترام الرأي الآخر، فالمسألة ليست مسألة آراء، المسألة مسألة اتِّباع، نحن قد رسم الله لنا طريقًا واضحًا، وقال لنا سيروا عليه حينما قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] ؛ فأي شخص يأتينا ويريد منا أن نخرج عن هذا الصراط فإننا:

أولًا: نرفض قوله.

وثانيًا: نُبيِّن ونُحذِّر الناس منه، ولا يسعنا السكوت عنه؛ لأننا إذا سكتنا عنه اغتر به الناس، لاسيما إذا كان صاحب فصاحة ولسان وقلم وثقافة، فإن الناس يغترون به، فيقولون هذا مؤهل، هذا من المفكريين، كما هو حاصل الآن، فالمسألة خطيرة جدًّا، وهذا فيه وجوب الرد علىٰ المخالف عكس ما يقوله أولئك، يقولون اتركوا الردود، دعوا الناس كل له رأيه واحترامه، وحرية الرأي، وحرية الكلمة، بهذا تهلك الأمة.

فالسلف ما سكتوا عن أمثال هؤلاء، بل فضحوهم وردوا عليهم لعلمهم بخطرهم علىٰ

=

* وجوب الرجوع إلىٰ العلماء عند حدوث الفتن وخصوصًا فتن الشبهات لذلك فإن التابعين رجعوا عندما حدثت فتنة القدر إلىٰ علماء الصحابة.

* البراءة من البدع وأهلها وبيان خطورتها في الحال والمآل، كما قال ابن عمر ﷺ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخبِرهُم أَنِّي بَرِيءٌ مِنهُم وَأَنَّهُم بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحلِفُ بِهِ عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: لَو أَنَّ لِأَحَدِهِم مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنهُ حَتَّىٰ يُؤمِنَ بِالقَدَرِ».

* رد البدعة بالسنة كما فعل ابن عمر ﷺ حيث استدل ببطلان قول القدرية بحديث جبريل المشهور.

* لا يجوز السكوت عمن أظهر بدعة ولو كان من أهل العلم والعبادة؛ لأن الذين أحدثوا القول في القدر ذُكر من شأنهم أنهم كانوا (يتقفرون العلم) أي أهل

=

الأمة، نحن لا يسعنا أن نسكت علىٰ شرهم، بل لابد من بيان ما أنزل الله وإلا فإننا نكون كاتمين، من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾؛ فلا يقتصر الأمر علىٰ المبتدع، بل يتناول الأمر من سكت عنه، فإنه يتناوله الذم والعقاب؛ لأن الواجب البيان والتوضيح للناس، وهذه وظيفة الردود العلمية المتوفرة الآن في مكتبات المسلمين، كلها تذب عن الصراط المستقيم، وتحذر من هؤلاء فلا يروج هذا الفكرة فكرة حرية الرأي وحرية الكلمة واحترام الآخر إلا مضلل كاتم للحق، نحن قصدنا الحق ما قصدنا نُجرِّح الناس، نتكلم في الناس، القصد هو بيان الحق، وهذه أمانة حمَّلها اللهُ العلماءَ، فلا يجوز السكوت عن أمثال هؤلاء، لكن مع الأسف لو يأتي عالم يرد علىٰ أمثال هؤلاء قالوا: هذا متسرع إلىٰ غير ذلك من الوساوس، فهذا لا يخذِّلُ أهلَ العلم أن يبيِّنوا شرَّ دعاة الضلال لا يخذِّلُهُم».

علم وبحث، مع ذلك ما منع الناس أن يبنوا للصحابة حالهم ومقالهم، مع أن حالهم قد يكون أفضل من أحوال كثير من مبتدعي هذا الزمان الذين قل علمهم وديانتهم.

* خطورة البدع وأنها قد تؤدي بصاحبها إلىٰ النار.

وهناك فوائد كثيرة ذكرها أهل العلم في هذا الباب، منها:

الفائدة الأولىٰ: تعريف القدرية:

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-[1]: القدريةُ الذين ينكرون القدر، ويقولون: إنَّ ما يجري في هذا الكون ليس بقدر وقضاءٍ من الله ﷻ، وإنما هو أمرٌ يحدثُ بفعل العبد، وبدون سابقِ تقدير من الله ﷻ .

الفائدة الثانية: وسُمُّوا بالقدرية، وسُموا بمجوس هذه الأمة، لماذا ؟ لأنهم يزعمون أنَّ كُلَّ واحدٍ يَخلُقُ فعلَ نفسِه، ولم يكن ذلك بتقديرٍ من الله، لذلك أثبتوا خالقين مع الله كالمجوس الذين يقولون: إنَّ الكونَ له خالقان: النور والظلمة، النورُ خلقَ الخيرَ، والظلمةُ خلقَتِ الشرَّ.

القدريةُ زادوا علىٰ المجوسِ، لأنهم أثبتوا خالقَين متعدِّدِين، حيث قالوا: كُلٌّ يخلُقُ فعلَ نفسِه، فلذلك سُمُّوا بمجوسِ هذه الأمة.

الفائدة الثالثة: قابَلَتهم فرقةُ الجبرية الذين يقولون: إنَّ العبدَ مجبورٌ علىٰ فعله، وليس له فعلٌ ولا اختيارٌ، وإنما هو كالريشةِ التي تحركُها الريحُ بغير اختيارها؛ فهؤلاء يُسَمَّونَ بالجبرية وهم غُلاةُ القدرية، الذين غلوا في إثبات

---

(١) راجع برنامج المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، مكتبة الشيخ الفوزان، باب كتب الفرق والمناهج لمحة عن الفرق الضالة.

القدر، وسلبوا العبدَ الاختيار.

والطائفةُ الأولىٰ منهم علىٰ العكس، أثبتوا اختيار الإنسان وغلو فيه، حتىٰ قالوا: إنه يخلق فعل نفسه مستقلًّا عن الله، تعالىٰ الله عما يقولون.

وهؤلاء يُسمَّون بالقدرية النفاةِ، ومنهم: المعتزلةُ، ومن سار في ركابهم.

هذه فرقة القدرية بقسميها:

١- الغلاةُ في النفي.

٢- والغلاةُ في الإثباتِ.

الفائدة الرابعة: أول من أظهر القدر:

قال الشيخ صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.

الفائدة الخامسة: لا يجوز الاعتماد علىٰ القضاء السابق وترك العمل:

لا يجوز الاعتماد علىٰ القضاء السابق وترك العمل؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل علىٰ الكتاب الأول وندع العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**» وتلا قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

---

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد للشيخ العثيمين وهو ضمن برنامج المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

الفائدة السادسة: درجات الإيمان بالقدر:

هناك أربع درجات:

الأولىٰ: الصبر.

والثانية: الرضا عن القضاء أو عن فعل الله.

والثالثة: الرضا بالمصيبة.

والرابعة: الشكر.

اثنتان منها واجبة واثنتان مستحبة؛ الصبر والرضا بقضاء الله هذا واجب والرضا بالمصيبة، والشكر بعد ذلك مستحبة وهي من مقامات الأولياء[1].

الفائدة السابعة: الفرق بين القضاء والقدر:

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: اختلف العلماء في الفرق بينهما؛ فمنهم من قال:

أ- إن القدر: تقدير الله في الأزل، والقضاء: حكم الله بالشيء عند وقوعه؛ فإذا قدر الله تعالىٰ أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء، وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالىٰ: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ وما أشبه ذلك؛ فالقدر تقدير الله تعالىٰ الشيء في الأزل، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه.

ب- **ومنهم من قال:** إنهما بمعنىٰ واحد.

والراجح: أنهما إن قرنا جميعًا فبينهما فرق كما سبق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنىٰ واحد.

---

(١) انظر التعليقات الحسان علىٰ الفرقان للشيخ صالح آل شيخ.

فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع، يعني أن القضاء إذا أفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء: ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير، والقدر: ما قدره الله تعالىٰ في الأزل، هذا هو الفرق بينهما؛ فيكون القدر سابقًا والقضاء لاحقًا[١].

الفائدة الثامنة: الفرق بين القضاء والمقضي:

القضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضىٰ به، ولا يجوز أبدًا أن نسخطه بأي حال من الأحوال.

وأما المقضي فعلىٰ أقسام:

القسم الأول: ما يجب الرضا به.

القسم الثاني: ما يحرم الرضا به.

القسم الثالث: ما يستحب الرضا به.

فمثلًا المعاصي من مقضيات الله ويحرم الرضا بالمعاصي وإن كانت واقعة بقضاء الله؛ فمن نظر إلىٰ المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضىٰ، وأن يقول: إن الله تعالىٰ حكيم، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع، وأما من حيث المقضي وهو معصية الله فيجب ألا ترضىٰ به، والواجب أن تسعىٰ لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك.

وقسم من المقضي يجب الرضا به مثل الواجب شرعًا؛ لأن الله حكم به كونًا وحكم به شرعًا فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي[٢].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل محمد بن صالح العثيمين المجلد الأول.

(٢) انظر المصدر السابق.

الفائدة التاسعة: فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر له فوائد:

أولًا: تكميل الإيمان بالله؛ فإن القدر قدر الله ﷻ؛ فالإيمان به من تمام الإيمان بالله ﷻ.

ثانيًا: أن النبي ﷺ ذكره ضمن الإيمان في حديث جبريل.

ثالثًا: أن الإنسان يبقىٰ مطمئنًّا لأنه إذا علم أن هذا من الله رضي واطمأن.

رابعًا: أن هذا من تمام الإيمان بربوبية الله، وهذا يشبه الفائدة الأولىٰ، لأن الإنسان إذا رضي بالله ربًّا استسلم لقضائه وقدره واطمأن إليه.

خامسًا: إن الإيمان بالقدر علىٰ وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله ﷻ فيما يقدره من خير أو شر، ويعرف به أن وراء تفكيره وتخيلاته من هو أعظم وأعلم، ولهذا كثيرًا ما نفعل الشيء أو كثيرًا ما يقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا[1].

الفائدة العاشرة: مراتب القدر:

مراتب القدر: هي أربع يجب الإيمان بها كلها:

المرتبة الأولىٰ: العلم، وذلك بأن تؤمن بأن الله تعالىٰ علم كل شي جملة وتفصيلًا، فعلم ما كان وما يكون، فكل شي معلوم لله، سواء كان دقيقًا أم جليلًا أو أفعال خلقه، وأدلة ذلك من الكتاب كثيرة، منها: قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

---

(١) شرح حديث جبريل للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

المرتبة الثانية: الكتابة، وقد دلت عليها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠] ففي الآية أيضًا إثبات العلم وإثبات الكتابة.

المرتبة الثالثة: المشيئة، وهي عامة، ما من شي في السموات والأرض إلا وهو كائن بإرادة الله ومشيئته، فلا يكون في ملكه ما لا يريد أبدًا، سواء كان ذلك فيما يفعله بنفسه أو يفعله مخلوق، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

المرتبة الرابعة: الخلق، فما من شي في السموات ولا في الأرض إلا الله خالقه ومالكه ومدبره وذو سلطانه، قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

الفائدة الحادية عشر: قال الشيخ صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يجب علىٰ الإنسان أن يمنع نفسه عن السؤال بـ(لم) و(كيف) فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وكذا يمنع نفسه عن التفكير في الكيفية، وهذا الطريق إذا سلكه الإنسان استراح كثيرًا.

وهذه حال السلف -رحمهم الله-؛ ولهذا جاء رجل إلىٰ مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ قال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ كيف استوىٰ؟

فأطرق برأسه وعلته الرحضاء وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا.

الفائدة الثانية عشرة: من الأخطاء اللفظية التي يقع فيها بعض الناس:

قولهم: شاءت قدرة الله، وهذا القول خطأ.

قال العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: لا يصح أن نقول: شاءت قدرة الله؛ لأن

المشيئة إرادة، والقدرة معنىٰ، والمعنىٰ لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة للشائي، ولكننا نقول: اقتضت حكمة الله كذا وكذا[١].

وكذلك قولهم: إن الله لا يقدِّر إلا الخير؛ لأن الله يقدر الخير والشر، ولكن الشر لا ينسب إلىٰ الله.

* * *

(١) انظر المناهي اللفظية للشيخ العثيمين.

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ-:

(ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفِيَ ذلك وأُحكِمَ له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق، ومثل ما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وألا يرد منها حرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات).

الفائدة الأولىٰ: بين الإمام -رحمه الله تعالىٰ- منهج المسلم في التعامل مع الأحاديث، وخصوصًا أحاديث الغيب أو الصفات.

وفي هذا المعنىٰ يقول البربهاري في شرح السنة: وكل ما سمعت من الآثار شيئًا مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ: «**قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن** ﷻ»، وقوله: إن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا، وينزل يوم عرفة، وينزل يوم القيامة، وإن جهنم لا يزال يطرح فيها حتىٰ يضع عليها قدمه -جل ثناؤه-.

وقول الله تعالىٰ للعبد: إن مشيت إلي هرولت إليك، وقوله: خلق الله آدم علىٰ صورته، وقول رسول الله ﷺ: رأيت ربي في أحسن صورة، وأشباه هذه الأحاديث فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض[1] والرضا ولا تفسر شيئًا من هذه

---

(١) **قال الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-:** تفويض علم كيفيتها، مثلًا عندك المؤمن يفسح له في قبره وغيره يضيق عليه حتىٰ تختلف أضلاعه والتوسعة والتضييق معروف لكن كيفيتها بالنسبة لهذا كيف يفسح له في قبره وكيف يضيق علىٰ الآخر ونحن نرىٰ القبور علىٰ سمت واحد أليس كذلك؟

=

بهواك؛ فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئًا من هذا بهواه ورده فهو جهمي.

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في شرح أصول السنة: بعض النصوص قد لا تفهمها، ولكن ما هي الحكمة والغاية منها؟ وما هو السر من ورائها ؟ فعليك بالإيمان والتصديق، لأن هذا مقتضىٰ الايمان ومقتضىٰ التصديق.

وقال -حفظه الله-: فما عرفت فالحمد لله، وما لم تعرفه فكله إلىٰ عالمه وقد كفاك.

الفائدة الثانية: الحديث المشار إليه في المتن هو حديث عبدِ الله بنِ مسعودٍ ﷺ قال: حَدَّثَنَا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق الصدوق: «**إن أَحدكم يُجمَعُ خَلقُهُ في بَطنِ أُمِهِ أربَعِينَ يومًا نُطفَةً، ثُمَّ يَكُونُ علقةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضغَةً مِثلَ ذَلِكَ، ثُمَ يُرسَلُ إِلَيهِ المَلَكَ، فَيَنفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، ويُؤمَرَ بِأَربَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتبِ رِزقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ، فوالله الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيرُهُ؛ إِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ فَيَدخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُم لَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونَ بَينَهُ وَبَينَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعمَلُ بِعَمَلِ أَهلِ الجَنَّةِ فَيَدخُلُهَا**» رواه البخاري ومسلم.

الحديث فيه من الفوائد التربوية التي يحتاجها كل مسلم وطالب علم منها[1]:

=

نقول: هذا قياس عقلي يعني نؤمن أن المؤمن يفسح في قبر هو غير ذلك من المنافقين والكفار يضيق عليهم قبورهم حتىٰ تختلف أضلاعهم، نؤمن بمعناها من حيث اللغة ونفوض كيفيتها إلىٰ الله ﷻ لأنه بالعقل لا يمكن إدراك هذا أليس كذلك؟

(١) قال الشيخ مذكرًا: إنما الأعمال بالخواتيم.

التذكير بنشأة الإنسان، وكيف أنه خرج من موضع البول مرتين، وكيف أنه كان علقة صغيرة معلقة برحم الأم، ثم مضغة وهي علىٰ قدر ما يمضغ من الطعام، ثم عظامًا، ثم عظامًا مكسوة بلحم، ثم خرج طفلًا، وهذا يحمل الإنسان علىٰ التواضع لله تعالىٰ، وترك الغرور بالنفس وترك الكبر والتباهي.

وكذلك دل هذا الحديث علىٰ فوائد عظيمة منها:

١- هذا الحديث أصل في باب القدر.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الأربعين النووية: هذا الحديث أصل في باب القدر والعناية بذلك، والخوف من السوابق، والخوف من الخواتيم، وكما قيل: قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: ماذا يُختم لنا؟ وقلوب السابقين أو المقربين معلقة بالسوابق يقولون: ماذا سبق لنا؟

وهذا -وهو الإيمان بالقدر والخوف من الكتاب السابق والخوف من الخاتمة-، هذا من آثار الإيمان بالقدر خيره وشره، فإن هذا الحديث دل علىٰ أن هناك تقديرًا عُمريًّا لكل إنسان، وهذا التقدير العُمري يكتُبه المَلك بأمر الله -جل وعلا- كما جاء في هذا الحديث.

٢- قد يظن البعض أن هناك تعارضًا بين هذا الحديث وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[1].

سئل الشيخ العثيمين مثل هذا السؤال؛ فأجاب -رحمه الله تعالىٰ-: حديث عبد الله بن مسعود ﷺ يخبر فيه النبيﷺ أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- المجلد الأول.

حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ لقرب أجله وموته، ثم يسبق عليه الكتاب الأول الذي كتب أنه من أهل النار، فيعمل بعمل أهل النار والعياذ بالله فيدخلها.

وهذا فيما يبدو للناس ويظهر، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**» نسأل الله العافية.

وكذلك الأمر بالنسبة للثاني يعمل الإنسان بعمل أهل النار، فيمُنُّ الله تعالىٰ عليه بالتوبة والرجوع إلىٰ الله عند قرب أجله، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

والآية التي ذكرها السائل لا تعارض الحديث؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ومن أحسن العمل في قلبه وظاهره فإن الله تعالىٰ لا يضيع أجره، لكن الأول الذي عمل بعمل أهل الجنة فسبق عليه الكتاب، كان يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتاب، وعلىٰ هذا يكون عمله ليس حسنًا وحينئذٍ لا يعارض الآية الكريمة، والله الموفق.

٣- دل هذا الحديث علىٰ نوع من أنواع التقدير وهو التقدير العمري.

والتقادير التي ذكرت في النصوص أربع هي[1]:

أ- **التقدير الأزلي**، قال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

ب- **التقدير العمري**، ودليله حديث الصادق المصدوق.

ج- **التقدير السنوي**، وهو ما يقدره الله في كل سنة من ليلة القدر؛ قال

---

(١) قال الشيخ: هذا تفضيل ما يتعلق بالعلم والكتابة.

تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٣-٤].

د- **التقدير اليومي**، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

٤- دل هذا الحديث علىٰ أن الأجل والرزق مكتوب علىٰ الإنسان لا يتقدم ولا يتأخر، فكيف يجمع بينها وبين الأحاديث التي دلت علىٰ الإنسان يوسع له في رزقه وعمره بسبب صلة الارحام.

سئل الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: ما معنىٰ قوله ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» متفق عليه من حديث أنس، وهل معنىٰ ذلك أن الإنسان يكون له عمر إذا وصل رحمه، وعمر إذا لم يصل؟

فأجاب بقوله: «ليس معنىٰ ذلك أن الإنسان يكون له عمران: عمر إذا وصل رحمه وعمر إذا لم يصل، بل العمر واحد، والمقدر واحد، والإنسان الذي قدر الله له أن يصل رحمه سوف يصل رحمه، والذي قدر الله أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ولابد.

ولكن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يحث الأمة علىٰ فعل ما فيه الخير، كما نقول: من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج، فالزواج مكتوب، والولد مكتوب، فإذا كان الله قد أراد أن يحصل لك ولد أراد أن تتزوج، ومع هذا فإن الزواج والولد كلاهما مكتوب، كذلك هذا الرزق مكتوب من الأصل، ومكتوب أنك ستصل رحمك، لكنك أنت لا تعلم عن هذا؛ فحثك النبي ﷺ، وبين لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يبسط لك في الرزق وينسأ لك في الأثر، وإلا فكل

شيء مكتوب.

لكن لما كانت صلة الرحم أمرًا ينبغي للإنسان أن يقوم به؛ حث النبي -عليه الصلاة والسلام- علىٰ ذلك بأن الإنسان إذا أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه، وإلا فإن الواصل قد كتبت صلته وكتب أن يكون عمره إلىٰ حيث أراد الله ﷻ.

ثم اعلم أن امتداد الأجل وبسط الرزق أمر نسبي، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه ويبسط له في رزقه بعض الشيء، ولكن عمره يكون قصيرًا وهذا مشاهد، فنقول: هذا الذي كان عمره قصيرًا مع كونه واصلًا للرحم لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر، ولكن الله قد كتب في الأزل أن هذا الرجل سيصل رحمه وسيكون منتهىٰ عمره في الوقت الفلاني». انظر مجموع فتاوىٰ الشيخ العثيمين باب القدر.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح العقيدة السفارينية: «وصلة الرحم من أسبابه، من أسباب طول العمر، ومن أسباب سعة الرزق، وإذا قُدِّرَ أن الإنسان وَصَلَ رَحِمَهُ علمنا أنه فعل السبب الذي يكون به طول العمر وسعة الرزق.

ولا يختلف هذا عن قوله تعالىٰ فيمن عَمِلَ صالحًا بأنه يدخل الجنة، لا يختلف؛ لأننا نعلم أنه متىٰ فعل السبب وُجِدَ المسبب، وإذا لم يفعله لم يوجد المسبب، هذا الرجل إذا يصل رَحِمَه لم يَطُل عمره، ولم يُبسط له في رزقه لأنه لم يفعل السبب، لكن إذا وَصلَ رَحِمَه طال عمره واتسع رزقه.

ونعلم أن هذا الرجل قد كُتِبَ أصلًا عند الله بأنه وصولٌ لرَحِمَه وعمره ينتهي في الوقت الفلاني ورزقه يكون إلىٰ الساعة الفلانية، ونعلم أن الرجل الآخر

لم يُكتَب أن يصل رَحِمَه فكُتِبَ رزقه مضيقًا، وكُتِبَ عمره قاصرًا من الأصل ليس فيه شيء يزيد وينقص عن الذي كُتِبَ في الأزل.

إذن ما الفائدة من قوله -عليه الصلاة والسلام- من هذا الكلام؟

نقول: الفائدة من ذلك: الحث علىٰ صلة الرحم».

٥- أن ما يمحىٰ ويثبت من الأقدار إنما في غير التقدير الازلي.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتىٰ إنه ليكتب قوله: أكلت شربت ذهبت جئت رأيت، حتىٰ إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٦- هل الدعاء يرد القضاء؟

فجوابه: قال الشيخ العثيمين: «إن الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو، وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاء، يعني له جهتان، فمثلًا هذا المريض قد يدعو الله تعالىٰ بالشفاء فيشفىٰ، فهنا لولا هذا الدعاء لبقي مريضًا، لكن بالدعاء شفي.

إلا أننا نقول: إن الله ﷻ قد قضي بأن هذا المرض يشفىٰ منه المريض بواسطة الدعاء؛ فهذا هو المكتوب فصار الدعاء يرد القدر ظاهريًّا، حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقي المرض، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء؛ لأن الأصل أن الدعاء مكتوب وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء، هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل، وهكذا كل شيء مقرون بسبب؛ فإن هذا السبب جعله الله

تعالىٰ سببًا يحصل به الشيء وقد كتب ذلك في الأزل من قبل أن يحدث».

٧- **ومن فوائد هذا الحديث**: الدلالة علىٰ التواضع؛ لأن الانسان يعتبر في أصل خلقه وأين كان ومن أين خرج[١].

٨- **ومن فوائد هذا الحديث**: أن الإنسان يكون بين الخوف والرجاء فلا يقنط من رحمة الله ولا يأمن مكر الله وخائف علىٰ نفسه من زوال نعمة الإيمان والهداية من قلبه؛ فيكون كثير التعلق بالله تعالىٰ.

* * *

(١) انظر أقوال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ المشار إليها في مجموع فتاوىٰ العثيمين باب القدر. ضمن برنامج المكتبة الشاملة.

قال الإمام أحمد:

(وألا يخاصم أحدًا ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتىٰ يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار).

سبق بيان معنىٰ الخصومة والجدال والمناظرة وضوابط المناظرة، وأفاد الإمام أحمد هنا أن الرجل الذي يعتمد علىٰ أصول أهل الكلام فهو مخطئ وإن أصاب الحق من جهة أنه لم يعتمد علىٰ منهج أهل السنة في الاستدلال.

* * *

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه، فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله فهذا صاحب بدعة مثل من قال: (هو مخلوق)، وإنما هو كلام الله وليس بمخلوق».

دل هذا الكلام علىٰ فوائد منهجية عظيمة، منها:

١- إنكار البدع وعدم التقليل من شأنها، ووجوب بيان العقيدة الصحيحة.

٢- ترك مناظرة أهل لبدع والكلام والفلسفة.

٣- عند حدوث فتن الشبهات فلا يقبل إلا القول الواضح والموقف الصريح الموافق للحق؛ لذلك ذم السلف اللفظية والواقفة، أما اللفظية فلأنهم جاءوا بلفظ مجمل هروبًا من الصدع بالحق[1]، وأما الواقفة فوقفوا حيث وجب التصريح بالحق.

٤- ذم السلف إحداث الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل، وخصوصًا

---

(١) **قال الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-:**

أولًا: هذه محدثة يعني (لفظي بالقرآن مخلوق) ولذلك نهىٰ عنهما الإمام أحمد ومحمد بن يحيىٰ الهذلي وغيرهم.

ثانيًا: لأنها مجملة تحتمل حقًّا وصوابًا.

ثالثًا: هو أن المعتزلة لما ضعف سلطانهم من الجهر بالقول بخلق القرآن انسلوا من خلال هذه العبارة وهم يريدون القول بخلق القرآن؛ هذه ثلاثة أسباب.

إذا كانت هذه الألفاظ يقصد بها إثارة الفتن وتشكيك المسلم بعقيدته.

ومن الألفاظ المحدثة اليوم: ما يسمىٰ بجنس العمل وآحاد العمل، والتكفير بمن ترك جنس العمل، وجعل هذه المصطلحات من ضوابط مسائل الإيمان، فهذا مما أنكره العلماء مثل الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في رسالة الأسئلة السويدية مع الشيخ العثيمن -رحمه الله تعالىٰ-، وكذلك أنكر هذه الألفاظ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ- كما في شرح أصول السنة للإمام أحمد[1].

السكوت في زمن الفتن علىٰ نوعين:

الأول: السكوت بعد العلم والاعتقاد الصحيح، وهذا يكون حسب حال الشخص من الضعف والقوة وحسب حاله من جهة استطاعته إيصال الحق أو لا، فما كل أحد يحسن البيان وكذلك مراعاة المصالح والمفاسد.

---

(١) **قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في شرحه لعقيدة أهل الحديث للصابوني:** ومثل هؤلاء في هذا العصر أهل جنس العمل الذي أدخلوه في الإيمان ليهلكوا أهل السنة. انظر مجموع الشيخ ربيع (ج ٢ ص٦٨).

وقال في مقال تحت عنوان كلمة حق في جنس العمل وهو ضمن مجموع فتاوىٰ الشيخ ربيع طبعة دار الإمام أحمد: ومن أصول أهل السنة وجوب سد الذرائع، ووجوب درء المفاسد، وتقديم درء المفاسد علىٰ جلب المصالح، فإطلاق جنس العمل فيه مفاسد لما فيه من الإجمال الموقع في اللبس ولما يثيره من الاختلاف والفرقة فيجب اجتنابه.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ زاجرًا عن إطلاق الألفاظ المجملة:

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـ ... إطلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ ... أذهان والآراء كل زمان

الثاني: السكوت عن جهل، وهذا مذموم علىٰ كل حال؛ لأن الساكت جاهل لا يريد معرفة الحق.

وهناك فوائد كثيرة ذكرها أهل العلم في هذا الباب منها:

الفائدة الأولىٰ: عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، والله يتكلم بصوت وحرف .

قال الشيخ العثيمين في شرح الحموية: مذهب أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به حقيقة، وألقاه إلىٰ جبريل فنزل به علىٰ قلب محمدﷺ.

وقد دل علىٰ هذا القول الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

الفائدة الثانية: القرآن صفة لله ذاتية باعتبار أصل الكلام، وفعلية باعتبار آحاده.

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن الله يتكلم، وأن كلامه صفة حقيقية ثابتة له علىٰ الوجه اللائق به، وهو سبحانه يتكلم بحرف وصوت، كيف يشاء، متىٰ شاء، فكلامه صفة ذات باعتبار جنسه، وصفة فعل باعتبار آحاده. انظر شرح الحموية للشيخ العثيمين.

الفائدة الثالثة: المقصود باللفظية هم الذين يقولون لفظي بالقران مخلوق.

قال ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية: واللفظية الذين يقولون

ألفاظنا بالقرآن مخلوقة مبتدعة جهمية عند الإمام أحمد والشافعي[١].

قال الشيخ العثيمين: ومعلوم أنه ثم فرق ما بين التلاوة وبين المتلو، وما بين الدراسة والمدروس، وما بين القراءة والمقروء، فكما قال أئمة السلف: الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري -جل وعلا-، فالجهة منفكة لا تلازم بين التلاوة والمتلو؛ لأن التلاوة فعل العبد والمتلو كلام الله -جل وعلا-.

ولهذا بدَّع السلف من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأن كلمة لفظي تحتمل أن يكون المراد التلفظ الذي هو عمل العبد فتكون الكلمة صحيحة، تلفظ العبد مخلوق لأن أعمال العباد مخلوقة، وما بين اللفظ الذي هو الملفوظ؛ لأن (فعل) تأتي بمعنىٰ المصدر وتأتي بمعنىٰ المفعول، خلق بمعنىٰ: المخلوق، لفظ بمعنىٰ: الملفوظ وهكذا[٢].

قال الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله- في شرح أصول السنة: لما جاءت فتنة القول بخلق القرآن وحصل افتراق بين أهل السنة وبين الجهمية والمعتزلة وغيرهم، نشأ ممن ينتمي إلىٰ السنة من يقول: القرآن كلام الله ولفظي بالقرآن مخلوق.

فأنكر عليهم الإمام أحمد؛ لأن كلمة (لفظ) تحتمل أن يراد بها الملفوظ، يعني نفس القرآن وتحتمل أن يراد بها نفس الذي يتكلم به ويلفظه المتكلم، فلما كانت تحتمل الباطل، وقد يستغلها أهل التضليل قال أحمد: من قال لفظي بالقرآن

---

(١) هنا قال الشيخ: هذا يكفي، فطلبت من الشيخ أن يجيزني في تدريس هذه الرسالة فقال -حفظه الله-: نعم نعم علىٰ بركة الله.

(٢) انظر مجموع الشيخ العثيمين (ج١٨ ص٢٢٢).

مخلوق فهو مبتدع.

وكذلك السلف عندهم قاعدة: الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري؛ لأن الله قال: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ فالمسموع من جهة الصوت هو صوت القارئ، ومن جهة الألفاظ والحروف والمعاني هذه هي كلام الله -جل وعلا-.

كذلك من جهة الكتابة، المكتوب هو القرآن هو كلام الله -جل وعلا- في مرتبة الكتاب أو في نوع الكتاب، وأما نفس الورق والمداد والألوان ونحو ذلك فهذه مخلوقة.

فإذن من جهة القارئ ثَم شيء مخلوق وشيء هو صفة الله وهو كلامه؛ فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاري، هذا من جهة التالي.

وكذلك المكتوب يعني الكتاب المصحف المكتوب فيه هو كلام الله -جل وعلا- الذي هو صفته غير مخلوق، وأما الورق والمداد إلىٰ آخره فهذه مخلوقة صنعها البشر.

القارئ إذا قرأ لا يجوز أن نقول: لفظه بالقرآن مخلوق، ولا يجوز أن نقول: لفظه بالقرآن غير مخلوق، بل هذا بدعة وهذا بدعة؛ وذلك لأن اللفظ كلمة (لفظ) هذه فعل تحتمل المفعول وتحتمل الفعل -التلفظ-.

فإذا قال القائل: (لفظي بالقرآن) أنا أفهم منه أحد شيئين:

- إما أن يريد (لفظي بالقرآن): تلفظي بالقرآن.

- وإما أن يقول: ملفوظي.

لفظي احتمال أنها تلفظي، واحتمال أنه ملفوظي، التلفظ الذي هو حركة لسانه وإظهار صوته هذا مخلوق، والملفوظ هذا هو القرآن الذي هو صفة الله -جل وعلا-

غير مخلوق.

ولهذا بدع السلف من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق[1].

ويتبين بذلك تحذير السلف من استخدام الألفاظ المجملة التي تحتمل معنىٰ حق ومعنىٰ باطل، والأولىٰ استخدام الألفاظ الشرعية، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة وخصوصًا في باب الاعتقاد.

الفائدة الرابعة: المقصود بالواقفة:

هم الذين توقفوا فقالوا: لا نقول مخلوق، ولا نقول غير مخلوق، وحكمهم أنهم يلحقون بالجهمية، وبدع الإمام أحمد من توقف في القرآن.

وفي ذلك فائدة منهجية وهي أنه في حالة انتشار الفتنة والبدعة ينبغي علىٰ المسلم أن يعرف الحق وأن يعتقده وألا يتوقف بين الحق والباطل.

أما السكوت فهو علىٰ قسمين: الأول سكوت علىٰ جهل وهذا مذموم، والقسم الثاني: سكوت علىٰ علم، وهذا حسب ما تقتضيه المصلحة.

فالواجب علىٰ طالب العلم خصوصًا أن يفرق بين التوقف بين الحق والباطل؛ فإن هذا مذموم لأن المسلم مكلف أن يعتقد الاعتقاد الصحيح، وبين السكوت وعدم التكلم ببعض العلم خشية الوقوع بمفسدة أعظم .

الفائدة الخامسة: انقسم الناس في مسألة الكلام إلىٰ أقسام كثيرة ونقتصر علىٰ أشهرها منها:

١ - **الجهمية**: نسبة للجهم بن صفوان، وقد أنكروا صفة الكلام وقالوا: إن الله

---

(١) انظر شرح الواسطية للشيخ صالح آل الشيخ.

لا يوصف بكلام ولا متكلم، انتشرت مقالة الجهمية في حدود المائة الثالثة بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته الذين أجمع الأئمة علىٰ ذمهم وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم.

وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتابًا رد به علىٰ المريسي سماه: نقض عثمان بن سعيد علىٰ الكافر العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد، من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبين له ضعف حجة هؤلاء المعطلة، بل بطلانها، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي، والغزالي، وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بِشر.

وأما استمداد مقالة التعطيل فكان من اليهود والمشركين وضلال الصابئين والفلاسفة.

٢- **الكلابية**: أتباع عبدالله بن سعيد بن كلاب، عبدالله بن سعيد بن كلاب توفي قريبًا من وفاة الإمام أحمد أظن سنة ٢٤١ أو٢٤٠، كان أتىٰ بمذهب جديد خطير سمي بمذهب الكلابية، ثم انقرض لأنه تبناه الأشعري والماتريدي، لأن الأشعري بعدما انتهىٰ من فترة الاعتزال ذهب يطلب الحديث، فرأىٰ أصحاب ابن كلاب يتدارسون بعض الأمور، فجلس عندهم فأخذ عنهم مذهبه المسمىٰ بمذهب الأشعرية، وهو مذهب الكلابية بأكثر مسائله.

والكُلابية هم أول من أحدث القول بأن كلام الله قديم، أول من أحدث في الأمة أن القرآن كلام الله مخلوق هم: الجعدية، الجهمية، المعتزلة.

وأول من أحدث أن القرآن هو كلام الله وهو قديم وهو معنىٰ نفسي هم الكُلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كُلاب، وتبع ابن كلاب علىٰ ذلك الأشعري

ومن تبعه علىٰ مذهبه.

والسبب أن هذه المسألة لما أن الأشعري ترك المعتزلة وخلع مذهبه ذهب في بغداد التي هي دار الخلافة العباسية، يُدرس فيها في المساجد، المعتزلة يُدَرسون والكلابية يُدَرسون والكرامية، أصحاب كل مذهب لهم حلقات، فلحق بحلقة أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، فسمعهم يتكلمون في مسألة الكلام فأعجب بكلامهم في أن كلام الله جل وعلا قديم وأنه معنىٰ نفسي وأنه يختلف بالعبارة فأخذ كلامهم ونصره وصار كُلابيًّا اللي هو أبو الحسن الأشعري، وهكذا يعد مذهب الأشاعرة يعد مذهبًا كُلابيًّا[1].

الفائدة السادسة: رد شبه المخالفين:

إن المخالفين لأهل السنة في مسألة الكلام كثر، وكل مخالف له من الشبه التي يتمسك بها لتأيد ما يزعم أنه الحق، وأبرز المخالفين هم المعتزلة والأشاعرة ولا زالت مع الأسف الشديد شبههم تنطلي علىٰ كثير من المسلمين، بل كثير من المدارس الإسلامية والجامعات إلىٰ يومنا هذا تدرس في باب الاعتقاد عقيدة الأشاعرة والمعتزلة.

ومن شبه المعتزلة:

١- يقولون: إن القرآن شيء والله خالق كل شيء، ويستدلون لذلك بقول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:٦٢]، والقرآن شيء، فيدخل في عموم قوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ولأنه ما ثم إلا خالق ومخلوق، والله خالق، وما سواه مخلوق.

---

(١) انظر تفصيل ذلك شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح آل شيخ.

قال الشيخ العثيمين في شرح الواسطية: الجواب من وجهين:

الأول: أن القرآن كلام الله تعالىٰ، وهو صفة من صفات الله، وصفات الخالق غير مخلوقة.

الثاني: أن مثل هذا التعبير ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ عام قد يراد به الخاص مثل قوله تعالىٰ عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣]، وقد خرج شيء كثير لم يدخل في ملكها منه شيء؛ مثل ملك سليمان.

فإن قال قائل: هل هناك فرق كبير بين قولنا: إنه منزل، وقولنا: إنه مخلوق؟

فالجواب: نعم بينهما فرق كبير، جرت بسببه المحنة الكبرىٰ في عصر الإمام أحمد.

فإذا قلنا: إنه منزل. فهذا ما جاء به القرآن؛ قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:١].

وإذا قلنا: إنه مخلوق. لزم من ذلك:

أولًا: تكذيب للقرآن؛ لأن الله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ:٥٢]، فجعله الله تعالىٰ موحىٰ إلىٰ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ولو كان مخلوقًا ما صح أن يكون موحىٰ؛ فإذا كان وحيًا لزم ألا يكون مخلوقًا؛ لأن الله هو الذي تكلم به.

ثانيًا: إذا قلنا: إنه مخلوق؛ فإنه يلزم علىٰ ذلك إبطال مدلول الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لأن هذه الصيغ لو كانت مخلوقة لكانت مجرد شكل خلق علىٰ هذه الصورة كما خلقت الشمس علىٰ صورتها، والقمر علىٰ صورته، والنجم علىٰ صورته.. وهكذا، ولم تكن أمرًا ولا نهيًا ولا خبرًا ولا استخبارًا.

فمثلًا: كلمة (قل) (لا تقل) (قال فلان) (هل قال فلان) كلها نقوش علىٰ هذه الصورة، فتبطل دلالتها علىٰ الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وتبقىٰ كأنها صور ونقوش لا تفيد شيئًا.

ولهذا قال ابن القيم في النونية: إن هذا القول يبطل به الأمر والنهي؛ لأن الأمر كأنه شيء خلق علىٰ هذه الصورة دون أن يعتبر مدلوله، والنهي خلق علىٰ هذه الصورة دون أن يعتبر مدلوله، والنهي خلق علىٰ هذه الصورة دون أن يقصد مدلوله، وكذلك الخبر والاستخبار.

ثالثًا: إذا قلنا: إن القرآن مخلوق، وقد أضافه إلىٰ نفسه إضافة خلق صح أن نطلق علىٰ كل كلام من البشر وغيرهم أنه كلام الله؛ لأن كل كلام الخلق مخلوق، وبهذا التزم أهل الحلول والاتحاد؛ حيث يقول قائلهم:

وكل كلام في الوجوه كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهذا اللازم باطل، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

فهذه ثلاثة أوجه تبطل القول بأنه مخلوق.

والوجه الرابع: أن نقول: إذا جوزتم أن يكون الكلام-وهو معنىٰ لا يقوم إلا بمتكلم- مخلوقًا؛ لزمكم أن تجوزوا أن تكون جميع صفات الله مخلوقة؛ إذ لا فرق فقولوا إذن: سمعه مخلوق، وبصره مخلوق.... وهكذا.

فإن أبيتم إلا أن تقولوا: إن السمع معنىٰ قائم بالسامع لا يسمع منه ولا يرىٰ، بخلاف الكلام فإنه جائز أن الله يخلق أصواتًا في الهواء فتسمع! قلنا لكم: لو خلق أصواتًا في الهواء فسمعت لكان المسموع وصفًا للهواء، وهذا أنتم بأنفسكم لا تقولوه؛ فكيف تعيدون الصفة إلىٰ غير موصوفها ؟!

هذه وجوه أربعة كلها تدل علىٰ أن القول بخلق القرآن باطل، ولو لم يكن منه إلىٰ إبطال الأمر والنهي والخبر والاستخبار؛ لكان ذلك كافيًا.

٢- **ومن شبههم قالوا:** يقول الله -جل وعلا-: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣] وجعل بمعنىٰ خلق.

قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: وَأَمَّا استِدلَالُهُم بِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣].

فَمَا أَفسَدَهُ مِن استِدلَالٍ! فَإِنَّ (جَعَلَ) إِذَا كَانَ بِمَعنَىٰ خَلَقَ يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَفعُولٍ وَاحِدٍ كَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١].

وَقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠-٣٣].

وَإِذَا تَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَفعُولَينِ لَم يَكُن بِمَعنَىٰ خَلَقَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء:٣٩].

وأما الأشاعرة فاحتجوا علىٰ عقيدتهم من أن كلام الله نفسي قالوا: مستحيل أن يكون الكلام بحرف وصوت؛ لأن معنىٰ ذلك أنه يشبَّه الله -جل وعلا- بخلقه، فما المخرج ؟

قالوا: وجدنا في كلام العرب قول الشاعر:

إن الكـــلام لفـــي الفـــؤاد وإنمـــا جُعـــل اللـــسان علـــىٰ الفـــؤاد دلـــيلا

وجدنا قول عمر فيما حصل في سقيفة بني ساعدة أنه قال: فزورت في نفسي كلامًا.

فدل -علىٰ قولهم- علىٰ أن الكلام يحتمل شيئين: يحتمل أن يكون بحرف وصوت، ويحتمل أن يكون معنىٰ نفسيًّا في داخل المتكلم، والحرف والصوت ممتنع في حق الله -جل وعلا-، فجعلنا ذلك معنىٰ نفسيًّا، لأن الكلام صفة ثابتة بالنصوص لا يمكن إنكاره. ردًّا علىٰ المعتزلة، فإذن هم ردوا علىٰ المعتزلة أن القرآن مخلوق وأن كلام الله مخلوق وقالوا لا بل هو صفة وأتوا بالأدلة، لكن لأجل أن المعتزلة قالوا هو حرف وصوت.

وكان ذلك دليلًا عندهم علىٰ أنه مخلوق هربوا من ذلك إلىٰ ضده فأتوا بالمعنىٰ النفسي أخذًا من قول الأخطل كما زعموا النصراني، وبقول عمر فيما زعموا أيضًا: فزوّرت في نفسي كلامًا.

والجواب عن هذا أن نقول: إن الكلام في لغة العرب لا يحتمل المعنىٰ النفسي، بل لابد أن يكون بحرف وصوت، والمعتزلة من حيث اللغة أحذق من الأشاعرة، الأشاعرة أكثرهم عجم، والمعتزلة لهم تحقيق في مسائل اللغة.

فلما قالوا الكلام حرف وصوت، نقول: نعم كلام العرب دل علىٰ أن الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت، واستدل علىٰ ذلك ابن جني في كتابه الخصائص بأن هذه الأحرف الثلاثة (الكاف، واللام، والميم) في لغة العرب في اللسان العربي الكريم كيفما جمعتها لا تدل علىٰ لين وسهولة وإنما تدل علىٰ قوة وشدة، كيف ذلك؟

قال: خذ (كَلَمَ) يعني جرح، خذ (مَلَكَ) خذ (كَمُلَ) خذ (لَكَمَ) إلىٰ آخره، فتصريفاتها تدل -بتقليباتها الذي يسمىٰ الاشتقاق الأكبر- هذه تدل علىٰ قوة وشدة ولا تدل علىٰ لين وسهولة، والذي يدل علىٰ القوة والشدة هو إخراج الكلام بحرف وصوت، أما المعنىٰ النفسي الداخلي فهذا مبالغة في اللين والسهولة لا يناسب معنىٰ (تكلم) في لغة العرب.

وهذا الذي ذكره نفيس وصحيح، لأنه يوافق الاشتقاق الأكبر ويوافق ما نعلمه من لغة العرب من أسرار في مثل ارتباط الكلمات وتصريفاتها وتقليبات الأحرف والكَلِم بعضها مع بعض.

هذا واحد.

قولكم إن الكلام يكون في الفؤاد؛ نقول:

١- هذا ما أخذتموه إلا من البيت الذي زعمتموه من قول الأخطل، والأخطل أولًا نصراني، الأخطل التغلبي نصراني، والنصارىٰ أعظم ضلالهم في مسألة الكلام.

٢- الثاني هذا البيت لم نجده في نسخة لا أصل ولا مشروحة من نسخ ديوان الأخطل ولا في ملحقاتها ممّا حفظه أهل اللغة، لا يوجد في كلام في ديوان من دواوين الأخطل لا المشروحة ولا الأصول، فمن أين أتيتم به ؟

٣- الثالث نقول: روي هذا البيت علىٰ وجه آخر، روي بقوله:

إن البيان لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان علىٰ الفؤاد دليلا

فهذا يدل علىٰ أن لفظة الكلام غير محفوظة، وإذا كان كذلك فلا يسوغ الاحتجاج في اللغة بما يهدم الأصل بكلام غير محفوظ.

وقوله: (إن البيان لفي الفؤاد) هذا يوافق اللغة، البيان في الفؤاد لكن الكلام لا يمكن أن يكون في الفؤاد.

أما قولهم عن عمر أنه قال (فزورت في نفسي كلامًا) نقول: الرواية المحفوظة (فزورت في نفسي مقالًا) وأما (فزورت في نفسي كلامًا) فعلىٰ فرض صحتها فهو قال: (زورت في نفسي كلامًا) ولم يقل: (قلت في نفسي كلامًا)، فزّور في نفسه شيئًا سماه كلامً باعتبار أنه سيخرجه لا باعتبار وجوده في داخل نفسه فافترق الأمر.

الجواب علىٰ كلامهم في هذا يطول.

المقصود من هذا: أن قول الكلابية والأشاعرة في القرآن يقولون هو كلام الله، كلام الله معنىٰ نفسي، طيب القرآن الموجود بأيدينا وش يقول الكلابية والأشاعرة فيه؟

القرآن الذي بأيدينا يقولون مخلوق فيتفقون مع المعتزلة في أن القرآن الذي بأيدينا مخلوق لأنهم جعلوا كلام الله علىٰ قسمين: كلام الله القديم صفته غير مخلوق، صفة الله -جل وعلا- ولا يوصف بالخلق، وهذا الذي جُعِل في روع جبريل فعبّر عنه جبريل، هذا مخلوق.

ولهذا من جعل القرآن مخلوقًا علىٰ أي الجهتين -نسأل الله العافية- فهو راد لقول الله -جل وعلا-: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1].

---

(١) انظر شرح الواسطية للشيخ صالح آل شيخ وهي ضمن مكتبة الشيخ في برنامج المكتبة الشاملة.

الفائدة الخامسة: لا يجوز إطلاق أن القران قديم؛ لأن هذا موافق لعقيدة الأشاعرة.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في التعليقات الحسان: القرآن لا يسوغ وصفه بأنه قديم، بل هذا مذهب الأشاعرة فإنهم يجعلون القرآن قديمًا تكلم الله به في الأزل، فكل كلام أراده الله ثم يتعلق هذا الكلام بالإرادة وبالزمن الذي يصلح له فيتجدد، فليس عندهم أن القرآن كلام الله -جل وعلا- الذي تكلم به حين أَنزل القرآن.

ولهذا اعترض الآمدي عليهم في هذه المسألة في كتابه أفكار الأفكار، وفي كتابه نهاية وغاية المرام وفي غيرهما بأن قول الأشاعرة باطل فإما أن يكون الحق من جهة التقسيم قول أهل السنة، وإما أن يكون قول المعتزلة الذي هو أن القرآن مخلوق.

ثم استدل علىٰ بطلان قول المعتزلة وبقي الحق وهو قول أهل السنة؛ لأنه يلزم من أن القرآن قديم -حسَب كلام الآمدي- قال تأملت هذه المسألة -وهو أشعري من كبارهم، من علماء أهل الكلام- من يقول الكلام قديم فإذا في القرآن: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١].

وفي القرآن: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤].

وفي القرآن: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

ونحو ذلك مما فيه ذكر صيغة الماضي قد سمع الله؛ فإن كان هذا الكلام قديمًا فإن الله يقول: (قد سمع) لشيء لم يحصل، وهذا لا يجوز؛ لأنه نوع من الكذب وهذا يدل علىٰ بطلان هذا القول.

المقصود أن القول هذا (في كلامه القديم) هذا غلط موافق لطريقة الأشاعرة. انتهىٰ.

أما أدلتهم العقلية، فقالوا: يلزم من إثبات صفة الكلام إثبات أدوات الكلام وهذا تشبيه للخالق بالمخلوق.

والجواب: أنه لا يلزم ذلك؛ لأننا نعرف أن السموات والأرض تكلمت، والجلود تكلمت، والحجر والجبال سبحت، ولا يلزم من ذلك أن لها لسان وشفتين ومخرج صوت، والله أعظم وأجل ولا يقاس بخلقة -تبارك وتعالىٰ-.

* * *

قال الإمام أحمد:

(والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح، وأن النبي ﷺ قد رأىٰ ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيح، رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، والحديث عندنا علىٰ ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن كما جاء علىٰ ظاهره، ولا نناظر فيه أحدًا).

الفائدة الأولىٰ: أهل السنة يثبتون أن الله يرىٰ ويُرىٰ يوم القيامة، ودليلهم من الكتاب والسنة والإجماع:

أولًا: الأدلة من القرآن: تنوعت الأدلة من القرآن في دلالتها علىٰ رؤية الله تعالىٰ إلىٰ عدة أقسام:

١- التصريح بالنظر إلىٰ الله -جل وعلا-، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾.

٢- نفي الإحاطة بالله يدل علىٰ أن الأبصار تراه ولكن لا تدركه، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

٣- نفي رؤية الكافرين لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلما حجب الفجار عن رؤيته دل علىٰ أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق.

ومن السنة: تواترت الأحاديث في إثبات الرؤية، ومنها قول النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته**» متفق عليه، وهذا

التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، لأن الله ليس كمثله شيء، ولا شبيه له ولا نظير.

وخالفهم في ذلك طوائف من أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، واستدلوا بأدلة سمعية متشابهة، وأدلة عقلية متداعية:

أما الأدلة السمعية:

فالأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف:١٤٣].

ووجة الدلالة: أن (لن) للنفي المؤبد، والنفي خبر، وخبر الله تعالىٰ صدق، ولا يدخله النسخ.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: منع كون (لن) للنفي المؤبد، لأنه مجرد دعوىٰ.

قال ابن مالك في الكافية:

ومَـــنَ رَأىٰ النَّفـــيَ بِلَـــن مُـــؤبَّدًا فَقَـــولَهُ اردُد وَسِـــوَاهُ فَاعـــضدَا

الثاني: أن موسىٰ -عليه الصلاة والسلام- لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة، وإنما طلب رؤية حاضرة، لقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، أي:الآن، فقال الله تعالىٰ له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، يعني: لن تستطيع أن تراني الآن، ثم ضرب الله تعالىٰ له مثلًا بالجبل حيث تجلىٰ الله تعالىٰ له فجعله دكًّا، فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، فلما رأىٰ موسىٰ ما حصل للجبل، علم أنه هو لا طاقة له برؤية الله، وخر صعقًا لهول ما رأىٰ.

ونحن نقول: إن رؤية الله في الدنيا مستحيلة، لأن الحال البشرية لا تستطيع تحمل رؤية الله ﷻ، كيف وقد قال النبي ﷺ عن ربه ﷻ: «**حجابة النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه**».

أما رؤية الله في الآخرة فممكنة، لأن الناس في ذلك اليوم يكونون في عالم آخر تختلف فيه أحوالهم عن حالهم في الدنيا، كما يعلم ذلك من نصوص الكتاب والسنة فيما يجري للناس في عرصات القيامة وفي مقرهم في دار النعيم أو الجحيم.

الوجه الثالث: أن يقال: استحالة رؤية الله في الآخرة عند المنكرين لها مبنية علىٰ أن إثباتها يتضمن نقصًا في حق الله تعالىٰ ! كما يعللون نفيهم بذلك، وحينئذ يكون سؤال موسىٰ لربه الرؤية دائرًا بين الجهل بما يجب لله ويستحيل في حقه، أو الاعتداء في دعائه حين طلب من الله ما لا يليق به أن كان عالمًا بأن ذلك مستحيل في حق الله، وحينئذ يكون هؤلاء النافون أعلم من موسىٰ فيما يجب لله تعالىٰ ويستحيل في حقه وهذا غاية الضلال !

وبهذا الوجه يتبين أن في الآية دليلًا عليهم لا دليلًا لهم.

وهكذا كل دليل من الكتاب والسنة الصحيحة يستدل به علىٰ باطل أو نفي حق فسيكون دليلًا علىٰ من أورده، لا دليلًا لهم.

الدليل الثاني لنفاة رؤية الله تعالىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

والرد عليهم: أن الآية فيها نفي الإدراك، والرؤية لا تستلزم الإدراك، ألا ترىٰ أن الرجل يرىٰ الشمس ولا يحيط بها إدراكًا ؟!

فإذا أثبتنا أن الله تعالىٰ يُرىٰ، لم يلزم أن يكون يُدرك بهذه الرؤية، لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية.

ولهذا نقول: أن نفي الإدراك يدل علىٰ وجود أصل الرؤية، لأن نفي الأخص يدل علىٰ وجود الأعم، ولو كان الأعم منتفيًا لوجب نفيه، وقيل: لا تراه الأبصار، لأن نفيه يقتضي نفي الأخص لا عكس، ولأنه لو كان الأعم منتفيًا لكان نفي الأخص إيهامًا وتلبيسًا ينزه عنه كلام الله ﷻ، وعلىٰ هذا يكون في الآية دليل عليهم لا دليل لهم.

وأما أدلة نفاة الرؤية العقلية، فقالوا: لو كان الله يريلزم أن يكون جسمًا، والجسم ممتنع علىٰ الله تعالىٰ، لأنه يستلزم التشبه والتمثيل.

والرد عليهم: أنه إن كان يلزم من رؤية الله تعالىٰ أن يكون جسمًا فليكن ذلك، لكننا نعلم علم اليقين أنه لا يماثل أجسام المخلوقين، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

علىٰ أن القول بالجسم نفيًا أو أثباتًا مما أحدثه المتكلمون، وليس في الكتاب أو السنة إثباته ولا نفيه. انظر شرح الواسطية للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

الفائدة الثانية: فسر أهل التعطيل النظر بأن معناه الانتظار أو النظر إلىٰ نعيم الجنة، والرد عليهم من وجوه:

١- أن هذا التفسير مخالف لما عليه سلف الأمة.

٢- أن النظر يأتي بمعنىٰ الانتظار ويأتي بمعنىٰ الرؤية بالعين ويأتي بمعنىٰ الاعتبار ويأتي محتملًا حسب ما يتعدىٰ إليه من حرف.

فمثال الأول: قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

ومثال الثاني: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

ومثال الثالثة: ويكون النظر بمعنىٰ الرؤية المضمَّنة للاعتبار والتأمل والتفكر قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

مثال الرابعة: نظرت محمدًا.

الفائدة الثالثة: معنىٰ رؤية الله تعالىٰ في المنام:

احتمال رؤية العبد لربه في المنام دون اليقظة:

سئل الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: فضيلة الشيخ هل رؤية الله ﷻ في المنام جائزة أم لا[1]؟

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما في المنام فإن النبي -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم- رأىٰ ربه في المنام، لكن هل لغيره أن يراه؟ يُذكر أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأىٰ ربه، وذكر بعض العلماء أن ذلك ممكن، فالله أعلم لا أدري، وأخشىٰ إن فُتح الباب تدخل علينا شيوخ الصوفية وغيرهم ويقول: البارحة رأيت ربي، وجلست أنا وإياه، وتنادمنا وتناقشنا، ثم يجيء من أهل الخزعبلات التي لا أصل لها، فأرىٰ أن سد هذا الباب هو الأولىٰ».

* * *

(١) انظر لقاءات الباب المفتوح للشيخ العثيمين وهو ضمن مكتبة الشيخ العثيمين في برنامج المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.

قال -رحمه الله تعالىٰ-:

(والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة كما جاء يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة ذلك وترك مجادلته).

الفائدة الأولىٰ: عقيدة أهل السنة والجماعة في الميزان بأنه هو الذي يوزن به، والميزان عند الله -جل وعلا- له كفتان كما قال -جل وعلا-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

سئل فضيلة الشيخ صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- عن الميزان هل هو واحد أم متعدد؟ فأجاب بقوله: اختلف العلماء في الميزان هل هو واحد أو متعدد علىٰ قولين، وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد، ومرة بالجمع.

مثال الجمع: قوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾، وكذلك في قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

ومثال الإفراد: قوله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن، خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان**».

فقال بعض العلماء: إن الميزان واحد وإنه جمع باعتبار الموزون، أو باعتبار الأمم، فهذا الميزان توزن به أعمال أمة محمد، وأعمال أمة موسىٰ، وأعمال أمة عيسىٰ، وهكذا فجمع الميزان باعتبار تعدد الأمم.

والذين قالوا: إنه متعدد بذاته قالوا: لأن هذا هو الأصل في التعدد، ومن الجائز أن الله تعالىٰ يجعل لكل أمة ميزانًا، أو يجعل للفرائض ميزانًا، وللنوافل ميزانًا.

والذي يظهر والله أعلم أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون.

وسئل فضيلة الشيخ: كيف توزن الأعمال وهي أوصاف للعاملين؟

فأجاب بقوله: القاعدة في ذلك كما أسلفنا أن علينا أن نسلم ونقبل ولا حاجة لأن نقول: كيف؟ ولم؟ ومع ذلك فإن العلماء -رحمهم الله- قالوا في جواب هذا السؤال: إن الأعمال تقلب أعيانًا فيكون لها جسم يوضع في الكفة فيرجح أو يخف.

وضربوا لذلك مثلًا بما صح به الحديث عن النبيﷺ: أن الموت يجعل يوم القيامة علىٰ صورة كبش فينادىٰ أهل الجنة: يا أهل الجنة فيطلعون ويشرئبون. وينادىٰ يا أهل النار فيطلعون ويشرئبون، ما الذي حدث ؟ فيؤتي بالموت علىٰ صورة كبش فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت فيذبح الموت بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

ونحن نعلم جميعًا أن الموت صفة ولكن الله تعالىٰ يجعله عينًا قائمًا بنفسه وهكذا الأعمال تجعل أعيانًا فتوزن والله أعلم[1].

الفائدة الثالثة: أنكر المعتزلة ومن دار في فلكهم الميزان الحسي وقالوا المقصود بالميزان إقامة العدل وحرفوا النصوص الصريحة عن ظاهرها.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- المجلد الأول قسم العقيدة اليوم الآخر.

قال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان شبهة المعتزلة في إنكار الميزان الحسي: وعللوا ذلك بأن الأعمال أوصافٌ ومعانٍ، والأوصاف والمعاني لا تُوزن، الوزن إنما هو للأجسام ولا يمكن أن تُوصف الأوصاف والمعاني، فحكَّموا العقل وقدَّموه على الشرع، والنصوص تدل على أن هذا الميزان ميزانٌ حسي، وحديث صاحب البطاقة واضحٌ فيه، وكذلك حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خرج ذات يومٍ في ريحٍ شديدة فَجَرَت الريح تكفِّؤه يميل منها لأنه ليس كبير الجسم ونحيف فضحك منه بعض الصحابة فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**إن ساقيه في الميزان أثقل من أُحُد**».

الفائدة الرابعة: وردت النصوص بأن الموزون قد يكون العمل، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

وقد يكون العامل، ودليله قول النبي ﷺ عندما انكشفت ساق عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والله إنها لأثقل في الميزان من جبل أحد**»

وقد يكون الصحف، ودليله حديث البطاقة.

الفائدة الخامسة: الأدلة على أن للميزان كفتان:

١- أن هذا هو المتبادر للذهن من ظاهر لفظ الميزان.

٢- حديث البطاقة.

* * *

قال الإمام -رحمه الله تعالىٰ-:

(وأن الله تعالىٰ يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان والتصديق به).

الفائدة الأولىٰ: إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ .

الفائدة الثانية: أن الله تعالىٰ يكلم جميع الناس يوم القيامة علىٰ اختلاف ألسنتهم، كما ورد ذلك في حديث عدي بن حاتم قال: قال النبيﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرىٰ شيئًا قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة**» أخرجه البخاري باب من نوقش الحساب عذب (رقم ٦١٧٤).

الفائدة الثالثة: الاستعداد لذلك اليوم؛ فإن المسلم إذا علم أنه سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان يحمله ذلك علىٰ الخوف من الله تعالىٰ والاستعداد لذلك الموقف.

* * *

وقال -رحمه الله تعالىٰ-:

(والإيمان بالحوض).

الفائدة الأولىٰ: الحوض لغة: الجمع، يقال:حاض الماء يحوضه إذا جمعه، ويطلق علىٰ مجتمع الماء.

وشرعًا: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبيﷺ.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة.

قال النبيﷺ: «**إني فرطكم علىٰ الحوض**» متفق عليه.

الفائدة الثانية: أجمع السلف أهل السنة علىٰ ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض، ونرد عليهم بأمرين:

١ - الأحاديث المتواترة عن الرسولﷺ.

٢ - إجماع أهل السنة علىٰ ذلك.

الفائدة الثالثة: صفة الحوض:

طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أبيض من اللبن وأحلىٰ من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والثاني من فضة، يرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها وهو موجود الآن؛ لقولهﷺ: «**وإني والله لأنظر إلىٰ حوضي الآن**» رواه البخاري.

واستمداده من الكوثر لقولهﷺ: «**وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوض**» رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن.

ولكل نبي حوض، ولكن حوض النبيﷺ، أكبرها وأعظمها وأكثرها واردة لقول النبيﷺ: «**إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجوا أن أكون أكثرهم واردة**» قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر حديث رقم (٢١٥٦) في صحيح الجامع.

هل الحوض بعد الحساب أم قبله ؟

العلماء تنازعوا: هل الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط علىٰ أقوال:

منهم من يقول: إنه قبل الصراط.

ومنهم من يقول: هو بعد الصراط.

ومنهم من يقول: هو قبل الصراط وبعده حوض واحد ممتد من عرصات القيامة إلىٰ العرصات التي قبل الجنة.

وكلام شيخ الإسلام في الواسطية: وَفِي عَرصَةِ القِيَامَةِ الحَوضُ المَورُودُ لِلنَّبِيِّﷺ. ظاهر في أن الحوض الذي أوتيه محمد -عليه الصلاة والسلام- فإنه يكون قبل الصراط، فهذا الحوض في عرصات يوم القيامة عند شدة الحر وتعب الناس وهمهم وغمهم، فيشربون من هذا الحوض الذي لا يظمئون بعد الشرب منه أبدًا. انظر شرح الواسطية للشيخ صالح آل شيخ.

* * *

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(الإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام).

الفائدة الأولىٰ: وجوب الإيمان بعذاب القبر أو نعيمه:

قال العلامة العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: عذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن، وصريح السنة، وإجماع أهل السنة.

قال الله تعالىٰ في سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ إلخ السورة.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من عذاب القبر، وأمر أمته بذلك.

وقال النبي ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قال في المؤمن: «**فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره.**

وقال في الكافر: فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه». الحديث رواه أحمد وأبو داود[1].

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين المجلد الأول شرح لمعة الاعتقاد.

وقد اتفق السلف وأهل السنة علىٰ إثبات عذاب القبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب الروح.

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القبر لوجدناه كما هو.

نرد عليهم بأمرين:

١- دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف علىٰ ذلك.

٢- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم في القبر المحسوس في الدنيا.

الفائدة الثانية: هل عذاب القبر أو نعيمه علىٰ الروح أو علىٰ البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

الفائدة الثالثة: معنىٰ الفتنة:

فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، ويضل الله الظالمين فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

الفائدة الرابعة: هل الفتنة علىٰ المقبور فقط ولماذا سميت بفتنة القبر؟

قال الشيخ صالح آل شيخ في شرح الواسطية: فتنة القبر المقصود به فتنة البرزخ، وذلك لأن الفتنة واقعة لما بعد الموت وما بعد الموت هو الحياة البرزخية، وإنما سمي ذلك بفتنة القبر لأن غالب الناس يُقبَرون، ولكن لا يخص ذلك من

قُبِرَ دون من أُحرِقَ مثلًا وذُرَّ أو من فُتِّتت عظامه أو نحو ذلك، الكل يقع عليهم الافتتان ويأتيهم الملكان، والله -جل وعلا- قادر علىٰ كل شيء.

قال العلماء: سمي ذلك فتنة القبر لأن معظم الناس يُقبَرون وأما غير المقبور فإنها حالات خاصة فأطلق هذا الاسم باعتبار الغالب.

وهل الناس جميعًا يفتنون ؟

الجواب: نعم، فإن فتنة القبر تقع علىٰ جميع الخلق من الناس، يمتحن المسلم ويمتحن المنافق ويمتحن الكافر ويمتحن الرجل وتمتحن المرأة ويمتحن الصغير ويمتحن الكبير، فهذه كلها جاءت بها الأدلة وفيها خلاف، قال طائفة من أهل العلم: إن الفتنة فتنة القبر تقع علىٰ المسلم والمنافق دون الكافر أما الكافر فإنه لا يفتن.

وقال طائفة: إنها تقع علىٰ المسلم والكافر بعد بعثة النبي ﷺ خاصة، وأما من قبل بعثة النبي ﷺ فإنه لا فتنة عليهم في قبورهم.

والجواب: أن هذا ليس بصحيح، بل الصواب تعميم ذلك، وما استدل به من حصر الفتنة مثلًا في هذه الأمة قالوا إن النبي ﷺ قال: «**إنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**» قال: (أوحي إلي أنكم) قالوا الخطاب لهذه الأمة، ومعنىٰ ذلك أن الفتنة خاصة بها.

والجواب: أن هذا من باب الخطاب وليس من باب الحصر فهم يفتنون في قبورهم لبعث النبي ﷺ عليهم وغيرهم أيضًا يفتن، فهذا اللفظ لا يدل علىٰ التخصيص، والأصل أن الفتنة عامة وذلك لقوله -جل وعلا-: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ قال أهل التفسير: نزلت في فتنة القبر، وهذا اللفظ في آية إبراهيم هذه ليس خاصًّا بهذه الأمة.

فإذن هذا الأول أن الصحيح أن فتنة القبر غير خاصة بأمة محمد ﷺ بل بالجميع.

الثاني: هل هي خاصة بالمسلمين والمنافقين دون الكفار ؟

الجواب: لا أيضًا، بل الكافر يفتن كما دل عليه حديث البراء، فقول القائل: (سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته) لا يدل علىٰ أنه للمنافق والمسلم فقط، بل في حديث البراء أنه يقول: (فأما الكافر أو المنافق) وهذا يدل علىٰ دخول الجميع في ذلك، ويدل عليه أيضًا قول الله تعالىٰ: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

أما الصغير فإن طائفة كثيرة من أهل العلم قالوا إنه لا يفتن، وقد ثبت أن النبي ﷺ دعا لصغير بأنه يعيذه الله من عذاب القبر، كذلك أبو هريرة دعا لصغير في ذلك، وإذا كان ثبت أن ثمة علىٰ الصغير عذابًا في القبر فإنه يعني أنه يمتحن.

لا يقال إنه انعقد الإجماع علىٰ أن أطفال المسلمين في الجنة، نقول هذا صحيح ولكن خبر النبي ﷺ ودعاؤه هذا أيضًا يجب الإيقان به، والدعاء للصغير لا يعني أن يكون حتمًا يعذب، ولكن دعاء بأن يعاذ من العذاب وأن يعاذ من التعذيب فيه فمعنىٰ ذلك أنه دعاء له بأنه إذا سئل أسئلة فتنة القبر فإنه يجيب جواب المصيب المسلم المسدد.

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة أيضًا من أهل العلم من تلامذته كابن القيم وغيره.

هذا السؤال الأول، وهو أعظم الأسئلة: مَن رَّبُّكَ؟ السؤال عن المعبود،

والرب هنا ليس المقصود به الخالق الرازق المحيي المميت، وإنما المقصود به الذي يعبد لأن الرب يطلق في القرآن والسنة علىٰ السيد المتصرف المطاع، ويطلق علىٰ المعبود وهو في حق الله -جل وعلا- علىٰ المعنيين، لهذا قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ يعني معبودين.

وقال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني: معبودين من دون الله.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ﴾ وهذا يدل علىٰ أن الربوبية تأتي ويكون معناها العبودية وهذا إما أن يكون بطريق اللزوم؛ لأنه يلزم ممن هو رب أن يكون معبودًا وحده دون ما سواه، وإما أن يكون بطريق اجتماع الألفاظ وافتراقها.

قد قال إمام هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: إن لفظ الإله والرب والألوهية والربوبية في الكتاب والسنة تدخل في الألفاظ التي إذا اجتمعت افترقت وإذا تفرقت اجتمعت.

وهذا ربما يكون لأجل التضمن واللزوم الذي بين اللفظين.

المقصود من ذلك: أن قول الملكين للمقبور: (مَن رَّبُكَ؟) يعني من معبودك، ودليل ذلك أن المحنة والرسالات والابتلاء بالنبوات إنما وقع في العبودية ولم يقع في الاعتراف بالربوبية.

فإذن (مَن رَّبُكَ؟) يعني من معبودك من الذي تعبد، هذا هو السؤال الأول، والمسلم يجيب: (رَبِّيَ اللهُ) يعني معبودي الله، المنافق يقول: (هَاه هَاه؛ لاَ أَدري، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ) والكافر يصرح يقول معبودي كذا من الأوثان والأصنام، وهذا معنىٰ قوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾.

قال أيضًا: (فَيُقَالُ للرَّجُلِ مَن رَّبُكَ؟وَمَا دِينُكَ؟) الدين يعني ما يلتزمه من الدين، ما هو الدين الذي تلتزمه، ما هو الدين الذي تعتنقه ؟ فيجيب المسلم بالإسلام والكافر بدينه وهكذا والمنافق أيضًا يتردد والشاك والمرتاب يتردد ويقول: (سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلتُهُ).

هل تسمع الحيوانات العذاب ؟

وهذا نوع من أنواع العذاب والميت يسمع قرع نعال من يتخَلفونه حال تخليفهم إياه، فإذن له حياة خاصة وله في روحه وبدنه تعلقات خاصة، والله -جل وعلا- علىٰ كل شيء قدير، فهذا المنافق يعذب وأول عذابه أنه يضرب بهذا النوع من العذاب بِمِرزَبَة مِن حَدِيدٍ، يَصِيحُ صَيحَةً من أثرها يَسمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ إلَّا الإنسَانَ، هذا يدل علىٰ أن الجن والحيوانات تسمع عذاب المعذبين.

الفائدة الرابعة: والعذاب في القبر نوعان:

عذاب أمدي، فترة ثم ينقطع، وهو عذاب عصاة الموحدين أو بعض غيرهم.

وعذاب أمدي لا ينقطع، وهو عذاب الكفار أو طائفة من الكفار؛ لأن الله -جل وعلا- قال في وصف آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ فبين أنهم قبل قيام الساعة يعرضون علىٰ النار غدوًّا وعشيًّا، وهذا يكون في قبورهم.

النوع الأول عذاب أمدي يعني مدة ثم ينقطع، وهذا لأن دار البرزخ نوع من الدور قد يجعل الله -جل وعلا- العذاب فيها من المكفرات يعني يكون العبد عنده ذنوب فيُزال أثر هذه الذنوب وتُكفَّر عنه بالعذاب في البرزخ

القبر أيضًا له ضمة كما هو معروف، والقبر حفرة من حفر النار أو روضة

من رياض الجنة، وضمة القبر لا ينجو منها أحد، وقد رأت عائشة رضي الله عنها صغيرًا ميتًا يُحمَل فبكت وقالت: أشفقت عليه من ضمة القبر، وضمة القبر لم ينج منها أحد، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**لو نجا منها أحد لنجا منها سعد**».

الفائدة السادسة: مستقر الأرواح بعد الموت:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في كتاب الروح: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها: أرواح في أعلىٰ عليين في الملا الأعلىٰ، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ليلة الإسراء.

ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلًا جاء إلىٰ النبي فقال: يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «**الجنة**» فلما ولىٰ قال: «**إلا الدين، سارني به جبريل آنفًا**».

ومنهم: من يكون محبوسًا علىٰ باب الجنة كما في الحديث الآخر: «**رأيت صاحبكم محبوسًا علىٰ باب الجنة**».

ومنهم: من يكون محبوسًا في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئًا له الجنة؛ فقال النبي: «**والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارًا في قبره**».

ومنهم: من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس الشهداء علىٰ بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية.

رواه أحمد، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم: من يكون محبوسًا في الأرض لم لعل روحه إلىٰ الملأ الأعلىٰ فإنها كانت روحًا سفلية أرضية؛ فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها علىٰ محبة الله وذكره والقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها؛ فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالىٰ يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث ويجعل روحه يعني المؤمن مع النسم الطيب، أي الأرواح الطيبة المشاكلة؛ فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك.

ومنها: أرواح تكون في تنور الزناة والزاني وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلىٰ عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض.

وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب، وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضًا فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضًا، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها، وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالًا وصعودًا وهبوطًا.

وأنها تنقسم إلىٰ مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير؛ فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلىٰ هذه الدار.

❊ ❊ ❊

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما فيؤمر بهم إلىٰ نهر علىٰ باب الجنة كما جاء الأثر كيف شاء وكما شاء إنما هو الإيمان به والتصديق به).

الفائدة الأولىٰ: قال الشيخ العثيمين[1]: الشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، وهو جعل الوتر شفعًا مثل أن تجعل الواحد اثنين، والثلاثة أربعة، وهكذا هذا من حيث اللغة.

أما في الاصطلاح: فهي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، يعني أن يكون الشافع بين المشفوع إليه، والمشفوع له واسطة لجلب منفعة إلىٰ المشفوع له، أو يدفع عنه مضرة.

الفائدة الثانية: أنواع الشفاعة:

الشفاعة نوعان:

النوع الأول: شفاعة ثابتة صحيحة، وهي التي أثبتها الله تعالىٰ في كتابه، أو أثبتها رسوله ﷺ، ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**».

وهذه الشفاعة لها شروط ثلاثة:

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع.

---

(١) انظر مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ المجلد الأول قسم العقيدة.

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له.

الشرط الثالث: إذن الله تعالىٰ للشافع أن يشفع.

وهذه الشروط مجملة في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾.

ومفصلة في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾، وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾؛ فلابد من هذه الشروط الثلاثة حتىٰ تتحقق الشفاعة.

ثم إن الشفاعة الثابتة ذكر العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- أنها تنقسم إلىٰ قسمين:

القسم الأول: الشفاعة العامة، ومعنىٰ العموم أن الله ﷻ يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ، ولغيره من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وهي أن يشفع في أهل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا من النار.

القسم الثاني: الشفاعة الخاصة التي تختص بالنبي ﷺ، وأعظمها الشفاعة العظمىٰ التي تكون يوم القيامة حين يلحق الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيطلبون من يشفع لهم إلىٰ الله ﷻ أن يريحهم من هذا الموقف العظيم؛ فيذهبون إلىٰ آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ، ثم عيسىٰ وكلهم لا يشفع حتىٰ تنتهي إلىٰ النبي ﷺ، فيقوم ويشفع عند الله ﷻ أن يخلص عباده من هذا الموقف العظيم، فيجيب الله تعالىٰ دعاءه، ويقبل شفاعته، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالىٰ به في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾.

ومن الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط أوقفوا علىٰ قنطرة بين الجنة والنار فتمحص قلوب بعضهم من بعض حتىٰ يهذبوا وينقوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ.

النوع الثاني: الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها، وهي ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله ﷻ؛ فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾؛ وذلك لأن الله تعالىٰ لا يرضىٰ لهؤلاء المشركين شركهم، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله ﷻ والله لا يرضىٰ لعباده الكفر ولا يحب الفساد.

فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعلق باطل غير نافع، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالىٰ إلا بعدًا علىٰ أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام، وهذا من سفههم أن يحاولوا التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بما لا يزيدهم منه إلا بعدًا.

الفائدة الثالثة: لا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ في الدنيا.

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في شرح كشف الشبهات: فإن قال قائل: إن الله أعطىٰ محمدًا ﷺ الشفاعة فأنا أطلبها منه.

الجواب: من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تشرك به في دعائه؛ فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

الثاني: أن الله ﷻ أعطاه الشفاعة ولكنه ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع

إلا لمن ارتضاه الله، ومن كان مشركًا فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع له كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

الثالث: أن الله تعالىٰ أعطىٰ الشفاعة غير محمد ﷺ فالملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، فقل له: هل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء؟ فإن قال: لا؛ فقد خصم وبطل قوله، وإن قال: نعم؛ رجع إلىٰ القول بعبادة الصالحين.

ثم إن هذا المشرك المشبه ليس يريد من رسول الله ﷺ أن يشفع له، ولو كان يريد ذلك لقال: اللهم شفع في نبيك محمدًا رسول الله ﷺ، ولكنه يدعو الرسول مباشرة، ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحد عند الله ﷻ؟!

الفائدة الرابعة: معنىٰ التوسل وأنواعه والرد علىٰ بعض الشبهات في هذا الباب.

هذه الفوائد مقتبسة من كتاب التوسل للشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ باختصار، وأنصح بقراءة هذا الكتاب لأنه بحث لا يستغنىٰ عنه في هذا الباب.

قال ابن الأثير في النهاية: الواسل: الراغب، والوسيلة: القربة والواسطة وما يتوصل به إلىٰ الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل.

ومعنىٰ الوسيلة في القرآن: فسر السلف الصالح وأئمة التفسير الآيتين الكريمتين اللتين وردت فيهما لفظة (الوسيلة) وهما قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

فأما الآية الأولىٰ فقد قال إمام المفسرين الحافظ ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيرها:** يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعد من الثواب وأوعد من العقاب (اتقوا الله) يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك (وابتغوا إليه الوسيلة) يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

وأما الآية الثانية؛ فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أي استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن علىٰ عبادة الجن والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة وهذا هو المعتمد في تفسير الآية.

قلت -أي الشيخ الألباني-: وهي صريحة في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ؛ ولذلك قال: (يبتغون) أي يطلبون ما يتقربون به إلىٰ الله تعالىٰ من الأعمال الصالحة، وهي كذلك تشير إلىٰ هذه الظاهرة الغريبة المخالفة لكل تفكير سليم ظاهره أن يتوجه بعض الناس بعبادتهم ودعائهم إلىٰ بعض عباد الله يخافونهم ويرجونهم، مع أن هؤلاء العباد المعبودين قد أعلنوا إسلامهم وأقروا لله بعبوديتهم، وأخذوا يتسابقون في التقرب إليه سبحانه بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها، ويطمعون في رحمته ويخافون من عقابه.

فهو سبحانه يسفه في هذه الآية أحلام أولئك الجاهلين الذين عبدوا الجن واستمروا علىٰ عبادتهم، مع أنهم مخلوقون عابدون له سبحانه وضعفاء مثلهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، وينكر الله عليهم عدم توجههم بالعبادة إليه وحده

تبارك وتعالىٰ، وهو الذي يملك وحده الضر والنفع وبيده وحده مقادير كل شيء وهو المهيمن علىٰ كل شيء.

الوسيلة الشرعية: فهي كل سبب يوصل إلىٰ المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالىٰ وبينه في كتابه وسنة نبيه وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر الله ورسوله.

أنواع التوسل المشروع هي:

أ- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ باسم من أسمائه الحسنىٰ أو صفة من صفاته العليا:

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، ومثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحبك لمحمدﷺ؛ فإن الحب من صفاته تعالىٰ.

ودليل مشروعية هذا التوسل: قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]. والمعنىٰ: ادعوا الله تعالىٰ متوسلين إليه بأسمائه الحسنىٰ، ولا شك أن صفاته العليا ﷻ داخلة في هذا.

ب- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بعمل صالح قام به الداعي:

كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي، أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لمحمدﷺ وإيماني به أن تفرج عني.

ومنه أن يذكر الداعي عملًا صالحًا ذا بال فيه خوفه من الله سبحانه وتقواه إياه وإيثاره رضاه علىٰ كل شيء وطاعته له -جل شأنه-، ثم يتوسل به إلىٰ ربه في دعائه ليكون أرجىٰ لقبوله وإجابته.

وهذا توسل جيد وجميل قد شرعه الله وارتضاه، ويدل علىٰ مشروعيته قوله

تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٦].

ج- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بدعاء الرجل الصالح:

كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة كبيرة ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله -تبارك وتعالىٰ-، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلىٰ الله فيذهب إلىٰ رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوىٰ أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه.

فهذا نوع آخر من التوسل المشروع دلت عليه الشريعة المطهرة وأرشدت إليه، وقد وردت أمثلة منه في السنة الشريفة، كما وقعت نماذج منه من فعل الصحابة الكرام -رضوان الله تعالىٰ عليهم-، فمن ذلك: ما رواه أنس بن مالك ﷺ حيث قال: إن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون.

ومعنىٰ قول عمر: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا أننا كنا نقصد نبينا ﷺ ونطلب منه أن يدعو لنا ونتقرب إلىٰ الله بدعائه، والآن وقد انتقل ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا فإننا نتوجه إلىٰ عم نبينا العباس ونطلب منه أن يدعو لنا[1].

شبهات والجواب عليها:

يورد المخالفون في هذا الموضوع بعض الاعتراضات والشبهات ليدعموا

---

(١) الحديث صحيح انظر كتاب التوسل للشيخ الألباني.

رأيهم الخاطئ، ويوهموا العامة بصحته ويلبسوا الأمر عليهم.

وأعرض فيما يلي هذه الشبهات واحدة إثر واحدة وأرد عليها ردًّا علميًّا مقنعًا إن شاء الله بما يقرر ما بينته في الفصل السابق وينسجم معه ويقنع كل مخلص منصف ويدحض كل افتراء علينا بالباطل وبالله تعالىٰ وحده التوفيق، وهو المستعان.

الشبهة الأولىٰ:

حديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما يحتجون علىٰ جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم بحديث أنس السابق: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون. رواه البخاري وغيره.

فيفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر رضي الله عنه إنما كان بجاه العباس رضي الله عنه ومكانته عند الله سبحانه .

وفهمهم هذا خاطئ وتفسيرهم هذا مردود من وجوه كثيرة أهمها:

إن من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضًا ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه.

وبناء علىٰ ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم علىٰ ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها، ونحن والمخالفون متفقون علىٰ أن في كلام عمر: (كنا نتوسل إليك بنبينا.. وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) شيئًا محذوفًا لابد له من تقدير، وهذا التقدير إما أن يكون: (كنا نتوسل إليك بجاه نبينا وإنا نتوسل إليك بجاه عم نبينا) علىٰ رأيهم هم، أو يكون:

(كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا) علىٰ رأينا نحن، ولابد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء.

ولنعرف أي التقديرين صواب لابد من اللجوء إلىٰ السنة لتبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام بالنبيﷺ ترىٰ هل كانوا إذا أجدبوا وقحطوا قبع كل منهم في داره أو في مكان آخر أو اجتمعوا دون أن يكون معهم رسول اللهﷺ ثم دعوا ربهم قائلين: (اللهم بنبيك محمد وحرمته عندك ومكانته لديك اسقنا الغيث) مثلًا؟

أم كانوا يأتون النبيﷺ ذاته فعلًا ويطلبون منه أن يدعو الله تعالىٰ لهم فيحققﷺ طلبتهم ويدعو ربه سبحانه ويتضرع إليه حتىٰ يسقوا ؟

أما الأمر الأول فلا وجود له إطلاقًا في السنة النبوية الشريفة وفي عمل الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم، ولا يستطيع أحد من الخلفيين أو الطرقيين أن يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبيﷺ ويطلبوا من الله بحقه وقدره عنده ما يريدون.

بل الذي نجده بكثرة وتطفح به كتب السنة هو الأمر الثاني؛ إذ تبين أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبيﷺ إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة أو كشف نازلة أن يذهبوا إليهﷺ ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه، أي أنهم كانوا يتوسلون إلىٰ الله تعالىٰ بدعاء الرسول الكريمﷺ ليس غير.

ويرشد إلىٰ ذلك قوله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

ومن أمثلة ذلك: ما مر معنا في حديث أنس السابق الذي ذكر فيه مجيء الأعرابي إلىٰ المسجد يوم الجمعة حيث كان رسول الله ﷺ يخطب وعرضه له ضنك حالهم وجدب أرضهم وهلاك ماشيتهم، وطلبه منه أن يدعو الله سبحانه لينقذهم مما هم فيه، فاستجاب له ﷺ وهو الذي وصفه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فدعا ﷺ لهم ربه واستجاب سبحانه دعاء نبيه ورحم عباده ونشر رحمته وأحيا بلدهم الميت.

ومن ذلك أيضًا: مجيء الأعرابي السابق نفسه أو غيره إلىٰ النبي ﷺ وهو يخطب الجمعة التالية، وشكواه له انقطاع الطرقات وتهدم البنيان وهلاك المواشي، وطلبه منه أن يدعو لهم ربه ليمسك عنهم الأمطار وفعل ﷺ فاستجاب له ربه جل شأنه أيضًا.

ومن ذلك: ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: شكا الناس إلىٰ رسول الله ﷺ قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلىٰ ووعد الناس يومًا يخرجون فيه، قالت: فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس فقعد علىٰ المنبر فكبر وحمد الله ثم قال: (حديث غريب وإسناده جيد): «**إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم...**» الحديث، وفيه أنه ﷺ دعا الله سبحانه وصلىٰ بالناس فأغاثهم الله تعالىٰ حتىٰ سالت السيول وانطلقوا إلىٰ بيوتهم مسرعين، فضحك الرسول ﷺ حتىٰ بدت نواجذه وقال: «**أشهد أن الله علىٰ كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله**».

فهذه الأحاديث وأمثالها مما وقع زمن النبي ﷺ وزمن أصحابه الكرام

رضوان الله تعالىٰ عليهم تبين بما لا يقبل الجدال أو المماراة أن التوسل بالنبيﷺ أو بالصالحين الذي كان عليه السلف الصالح هو مجيء المتوسل إلىٰ المتوسل به وعرضه حاله له، وطلبه منه أن يدعو له الله سبحانه ليحقق طلبه، فيستجيب هذا له ويستجيب من ثم الله ﷻ.

ويؤكد هذا ويوضحه: تمام قول عمر ﷺ: (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا). أي إننا بعد وفاة نبينا جئنا بالعباس عم النبيﷺ وطلبنا منه أن يدعو لنا ربنا سبحانه ليغيثنا.

ترىٰ لماذا عدل عمر ﷺ عن التوسل بالنبيﷺ إلىٰ التوسل بالعباس ﷺ مع العلم أن العباس مهما كان شأنه ومقامه فإنه لا يذكر أما شأن النبيﷺ ومقامه؟

أما الجواب برأينا فهو: لأن التوسل بالنبيﷺ غير ممكن بعد وفاته، فأنىٰ لهم أن يذهبوا إليهﷺ ويشرحوا له حالهم ويطلبوا منه أن يدعو لهم ويؤمنوا علىٰ دعائه وهو قد انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وأضحىٰ في حال يختلف عن حال الدنيا وظروفها مما لا يعلمه إلا الله ﷻ فأنىٰ لهم أن يحظوا بدعائهﷺ!

إننا نلاحظ في حديث استسقاء عمر بالعباس ﷺ أمرًا جديرًا بالانتباه وهو قوله: (إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبد المطلب) ففي هذا إشارة إلىٰ تكرر استسقاء عمر بدعاء العباس ﷺ؛ ففيه حجة بالغة علىٰ الذي يتأولون فعل عمر ذلك أنه إنما ترك التوسل بهﷺ إلىٰ التوسل بعمه ﷺ لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فإننا نقول: لو كان الأمر كذلك لفعل عمر ذلك مرة واحدة ولما استمر عليه كلما استسقىٰ، وهذا بين لا يخفىٰ إن شاء الله تعالىٰ علىٰ أهل العلم والإنصاف.

لقد فسرت بعض روايات الحديث الصحيحة كلام عمر المذكور وقصده إذ نقلت دعاء العباس ﷺ استجابة لطلب عمر ﷺ، فمن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح حيث قال: قد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقىٰ به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتىٰ أخصبت الأرض وعاش الناس.

وفي هذا الحديث: أولًا: التوسل بدعاء العباس ﷺ لا بذاته كما بينه الزبير بن بكار وغيره، وفي هذا رد واضح علىٰ الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس فيدعو بعد عمر دعاء جديدًا.

ثانيًا: أن عمر صرح بأنهم كانوا يتوسلون بنبينا ﷺ في حياته وأنه في هذه الحادثة توسل بعمه العباس، ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع واحد توسلهم بالرسول ﷺ وتوسلهم بالعباس.

وإذا تبين للقارئ مما يأتي أن توسلهم به ﷺ إنما كان توسلًا بدعائه ﷺ فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو توسل بدعائه أيضًا بضرورة أن التوسلين من نوع واحد أي بدعائه لا يمكن أن يفهم من مجموع رواية الحديث إلا هذا، ويؤيده:

ثالثًا: لو كان توسل عمر إنما هو بذات العباس أو جاهه عند الله تعالىٰ لما

ترك عمر التوسل به ﷺ بهذا المعنىٰ؛ لأن هذا ممكن لو كان مشروعًا فعدول عمر عن هذا إلىٰ التوسل بدعاء العباس ﷺ أكبر دليل علىٰ أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته ﷺ.

وعلىٰ هذا جرىٰ عمل السلف من بعدهم كما رأيت في توسل معاوية بن أبي سفيان والضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي، وفيهما بيان دعائه بصراحة وجلاء، فهل يجوز أن يجمع هؤلاء كلهم علىٰ ترك التوسل بذاته ﷺ لو كان جائزًا سيما والمخالفون يزعمون أنه أفضل من التوسل بدعاء العباس وغيره ؟

اللهم إن ذلك غير جائز ولا معقول، بل إن هذا الإجماع منهم من أكبر الأدلة علىٰ أن التوسل المذكور غير مشروع عندهم فإنهم أسمىٰ من أن يستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

الشبهة الثانية: حديث الضرير:

أخرج أحمد وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف: (صحيح الإسناد) أن رجلًا ضرير البصر أتىٰ النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذاك فهو خير (وفي رواية: وإن شئت صبرت فهو خير لك) فقال: ادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلىٰ ربي في حاجتي هذه فتقضىٰ لي اللهم فشفعه في [وشفعني فيه]. قال: ففعل الرجل فبرأ.

إن توسل الأعمىٰ إنما كان بدعائه، والأدلة علىٰ ما نقول من الحديث نفسه كثيرة وأهمها:

أولًا: أن الأعمىٰ إنما جاء إلىٰ النبيﷺ ليدعو له وذلك قوله: (ادع الله أن يعافيني) فهو قد توسل إلىٰ الله تعالىٰ بدعائهﷺ لأنه يعلم أن دعاءهﷺ أرجىٰ للقبول عند الله، بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمىٰ التوسل بذات النبيﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجه به إلىٰ أن يأتي النبيﷺ ويطلب منه الدعاء له بل كان يقعد في بيته ويدعو ربه بأن يقول مثلًا: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني وتجعلني بصيرًا!

ولكنه لم يفعل لماذا ؟ لأنه عربي يفهم معنىٰ التوسل في لغة العرب حق الفهم ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة يذكر فيها اسم المتوسل به، بل لابد أن يشتمل علىٰ المجيء إلىٰ من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة وطلب الدعاء منه له

ثانيًا: أن النبيﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له وهو قولهﷺ: «**إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك**».

وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليهﷺ في الحديث الذي رواه عن ربه - تبارك وتعالىٰ- أنه قال: (صحيح) «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه** -أي عينيه- **فصبر عوضته منهما الجنة**».

ثالثًا: إصرار الأعمىٰ علىٰ الدعاء وهو قوله: (فادع) فهذا يقتضي أن الرسولﷺ دعا له لأنهﷺ خير من وفىٰ بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق فقد شاء الدعاء وأصر عليه فإذن لابد أنهﷺ دعا له، فثبت المراد.

وقد وجه النبيﷺ الأعمىٰ بدافع من رحمته وبحرص منه علىٰ أن يستجيب الله تعالىٰ دعاءه فيه وجهه إلىٰ النوع الثاني من التوسل المشروع وهو التوسل

بالعمل الصالح ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله ﷻ يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له وهي تدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ كما سبق.

وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمىٰ الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله ﷻ وقربة إليه ليكون الأمر مكتملًا من جميع نواحيه وأقرب إلىٰ القبول والرضا من الله ﷻ، وعلىٰ هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء كما هو ظاهر وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون.

الشبهة الثالثة: الأحاديث الضعيفة في التوسل:

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: (من خرج من بيته إلىٰ الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا... أقبل الله عليه بوجهه) رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه وانظر تخريجه مفصلا في (سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٢٤)

الحديث الثاني: عن عمر بن الخطاب مرفوعًا: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال: يا رب لما خلقتني بيدك ونخفت في من روحك رفعت رأسي فرأيت علىٰ قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فعلمت أنك لم تضف إلىٰ اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال: غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أبي الحارث عبد الله بن مسلم الفهري: حدثنا إسماعيل بن مسلمة: أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه

عن جده عن عمر وقال: صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم في هذا الكتاب.

فتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل موضوع، وعبد الرحمن واه وعبد الله بن أسلم الفهري لا أدري من ذا.

قلت: ومن تناقض الحاكم في المستدرك نفسه أنه أورد فيه حديثًا آخر لعبد الرحمن هذا ولم يصححه، بل قال: والشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد.

قلت: والفهري هذا أورده الذهبي في الميزان وساق له هذا الحديث وقال: خبر باطل، وكذا قال الحافظ ابن حجر في اللسان وزاد عليه قوله في الفهري هذا: لا أستبعد أن يكون هو الذي قبله فإنه من طبقته.

قلت: والذي قبله هو عبد الله بن مسلم بن رشيد قال الحافظ: ذكره ابن حبان متهم بوضع الحديث يضع علىٰ ليث ومالك وابن لهيعة لا يحل كتب حديثه وهو الذي روىٰ عن ابن هدية نسخة كأنها معمولة.

الحديث الثالث: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» وبعضهم يرويه بلفظ: (باطل) «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث ألبتة، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة كما نبَّه علىٰ ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القاعدة الجليلة.

* * *

قال الإمام أحمد:

(والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن).

إن من لوازم شهادتنا لرسول الله ﷺ بالرسالة: أن نطيعه فيما أمر وتصديقه بما أخبر، وهذا مما يميز الدعوة السلفية دعوة أهل السنة والجماعة وهو التسليم للنصوص وعدم معارضته، عقلية أو ذوقية، وإنما هو التسليم والطاعة.

فلذلك كانوا بحق هم أهل الحديث والأثر، أما من جعل العقل هو الحاكم والنص تابعا للعقل فقد ضل.

ومن المسائل التي ضل فيها كثيرًا من الناس مسألة الأعور الدجال وظهوره، حيث أنكر العقلانيون ظهوره، وكذلك أنكروا نزول عيسىٰ بن مريم آخر الزمان.

وهناك عدة فوائد ذكرها العلماء تحت هذا الموضوع منها:

الفائدة الأولىٰ: خروج الدجال علامة من علامات الساعة الكبرىٰ.

الفائدة الثانية: علامات الساعة تنقسم إلىٰ قسمين: كبرىٰ، وصغرىٰ.

والصغرىٰ تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أشراط مضت وانتهت.

القسم الثاني: أشراط لم تزل تتجدد وهي وسط.

القسم الثالث: أشراط تكون عند قرب قيام الساعة.

أما علامات الساعة الكبرىٰ فهي منصوص عليها في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون ؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتىٰ ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان**

والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسىٰ بن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلىٰ محشرهم»[1].

الفائدة الثالثة: الدجال لغة: من الدجل وهو التمويه.

وشرعا: الدجال رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية.

وخروجه ثابت بالسنة والإجماع.

الفائدة الرابعة: ذكر بعض الأحاديث التي ذكرت الأعور الدجال:

حديث أبي أمامة ﷺ: قال -عليه الصلاة والسلام-:

١- يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة علىٰ وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال.

٢- وإن الله ﷻ لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته الدجال.

٣- وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم.

٤- وهو خارج فيكم لا محالة.

٥- فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي علىٰ كل مسلم.

٦- وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينًا وشمالًا يا عباد الله فاثبتوا.

٧- فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي:

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه باب في الآيات التي تكون قبل الساعة.

٨- إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي.

٩- ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتىٰ تموتوا.

١٠- وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور.

١١- وإنه مكتوب بين عينيه: كافر.

١٢- يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.

١٣- وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار.

١٤- فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف.

١٥- فتكون عليه بردًا وسلامًا كما كانت النار علىٰ إبراهيم.

١٦ - وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك.

١٧ - وإن من فتنته أن يسلط علىٰ نفس واحدة فيقتلها.

١٨ - وينشرها بالمنشار حتىٰ تلقىٰ شقين ثم يقول: انظروا إلىٰ عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربًّا غيري. فيبعثه الله ويقول له الخبيث: من ربك ؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم.

١٩ - وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت.

٢٠ - وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقىٰ لهم سائمة إلا هلكت.

٢١ - وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت حتىٰ تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت

وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعًا.

٢٢ - وإنه لا يبقىٰ شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة.

٢٣ - لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة.

٢٤ - حتىٰ ينزل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة.

٢٥ - فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقىٰ منافق ولا منافقة إلا خرج إليه.

٢٦ - فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد.

٢٧ - ويدعىٰ ذلك اليوم يوم الخلاص.

٢٨ - فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذٍ؟ قال: هم يومئذٍ قليل.

٢٩ - وجلهم ببيت المقدس.

٣٠ - وإمامهم رجل صالح.

٣١ - فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسىٰ بن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرىٰ ليتقدم عيسىٰ فيضع عيسىٰ يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصل فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم.

٣٢ - فإذا انصرف قال عيسىٰ: افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال.

٣٣ - معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلىٰ وساج.

٣٤ - فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء.

٣٥ - وينطلق هاربًا ويقول عيسىٰ عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها.

٣٦ - فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله.

٣٧ - فيهزم الله اليهود فلا يبقىٰ شيء مما خلق الله يتوارىٰ به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقد فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله.

٣٨ - وإن أيامه أربعون سنة.

٣٩ - السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة.

٤٠ - وآخر أيامه كالشررة.

٤١ - يصبح أحدكم علىٰ باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتىٰ يمسي.

٤٢ - فقيل له: كيف نصلي في تلك الأيام القصار ؟ قال: تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا.

٤٣ - فيكون عيسىٰ بن مريم عليه السلام في أمتي حكمًا عدلًا وإمامًا مقسطًا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يسعىٰ علىٰ شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتىٰ يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره.

٤٤ - وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها.

٤٥ - وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتىٰ يجتمع النفر علىٰ القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر علىٰ الرمانة فتشبعهم، يكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات.

٤٦ - قالوا: يا رسول الله وما يرخص الفرس ؟ قال: لا تركب لحرب أبدًا.

٤٧ - قيل: فما يغلي الثور ؟ قال: تحرث الأرض كلها.

٤٨ - وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولىٰ أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبق ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله.

٤٩ - قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرىٰ الطعام.

أخرجه بهذا التمام ابن ماجه (٢/ ٥١٢-٥١٦).

قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: الحديث غالبه صحيح قد جاء مفرقًا في أحاديث إلا قليلًا منه فلم أجد ما يشهد له أو يقويه كما سيأتي بيانه.

ولتسهيل توضيح ذلك علىٰ القارئ وتخريجه علي جعلته فقرات بأرقام متسلسلة، انظر كتاب: قصة المسيح الدجال ونزول عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام- وقتله إياه علىٰ سياق رواية أبي أمامة ﷺ مضافًا إليه ما صح عن غيره من الصحابة ﷺ للشيخ محمد ناصر الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

ومن خلال هذه النصوص نستخرج بعض الفوائد المنهجية منها:

الفائدة الأولىٰ: أن من علامات الفلاح والاستقامة أن يؤثر العبد ما يعلم علىٰ ما يرىٰ، وأن من علامات الفتنة أن يؤثر العبد ما يرىٰ علىٰ ما يعلم، وتصديق ذلك في فتنة الأعور الدجال في آخر الزمان فمن قدم العلم علىٰ ما يرىٰ دخل ناره

فيما يرىٰ وهي جنة في الحقيقة، ومن آثر ما يرىٰ دخل جنته فيما يظهر وهي في الحقيقة نار.

الفائدة الثانية: بيان أهمية العلم في الصبر علىٰ الفتن كما حدث لذلك الشاب الذي أراد الدجال قتله.

الفائدة الثالثة:الواجب التسليم للنصوص ولا نعارضها بالمعقولات.

الفائدة الرابعة: الابتعاد عن مواطن الفتن وعن أهل الشر والبدع.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات**»[١].

وهناك عدة فوائد ذكرها الشيخ صالح السحيمي -حفظه الله تعالىٰ- في شرحه لكتاب شرح أصول السنة للبربهاري تحت قول البربهاري: والإيمان بالمسيح الدجال.

قال: المسيح الدجال رجل من بني آدم يأتي في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة الكبرىٰ، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد، قال: جلسنا نذكر الساعة فطلع علينا النبيﷺ فقال: «**ما تذكرون؟**» قالوا: نتذاكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتىٰ تروا عشر آيات، وذكر الدجال، والدخان، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، ونزول عيسىٰ، وثلاثة خسوف خسف في المشرق وخسف في المغرب وخسف في جزيرة العرب، ونار تخرج من عدن أبين تسوق الناس إلىٰ المحشر**»[٢] أو كما قالﷺ.

---

(١) قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر حديث رقم (٦٣٠١) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه مسلم باب في الآيات التي تكون قبل الساعة.

هذا من أدلة ظهور الدجال يوم القيامة.

ومن أدلته أيضًا: ما ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا في المنام رأيت أني أطوف بالبيت فرأيت رجل أحمر جعد الشعر، قصير القامة، أفجح أشبهه بعبد العزىٰ ابن قطن، فقيل لي هذا هو الدجال**»[(١)].

فالدجال آية من آيات قرب الساعة، وليس هو علىٰ الصحيح عبد الله بن صياد، وإن جاءت أحاديث تشير إلىٰ ذلك.

والجمع بين الأحاديث الواردة في أنه عبد الله بن صياد وبين الأحاديث الأخرىٰ التي تدل علىٰ خلاف ذلك: أن يقال أن الرسول ﷺ ذكر إنه عبد الله بن صياد باجتهاده عندما رأىٰ شبهه قد وقع عليه، ثم إن ذلك قد جلي له ووضح في حديث الجساسة[(٢)].

إذن لو سئلنا وقلنا: هل المسيح الدجال هو عبد الله بن صياد؟ لأهل العلم قولان في ذلك:

أولاهما: أنه ليس عبد الله بن صياد، وأن كل ما قاله النبي ﷺ في وصف عبد الله بن صياد[(٣)] وأنه الدجال لما رآه من قرب وصفه، ثم إن ذلك جلىٰ له

---

(١) رواه البخاري باب الطواف بالكعبة في المنام، وأخرجه مسلم باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال.

(٢) أخرجه مسلم عن فاطمة بنت قيس.

(٣) أخرج البخاري عبد الله عمر أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ قبل ابن صياد حتىٰ وجدوه يلعب مع الغلمان عند أطم بني مغالة وقد قارب يومئذٍ ابن صياد يحتلم، فلم يشعر حتىٰ ضرب النبي ﷺ ظهره بيده ثم قال النبي ﷺ: **أتشهد أني رسول الله**. فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: =

ووضح بحديث ماذا؟ بحديث الجساسة[١].

=

أتشهد أني رسول الله؟ قال له النبيﷺ: **آمنت بالله ورسوله**، قال النبيﷺ: **ماذا ترىٰ**؟ قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. قال النبيﷺ: **خلط عليك الأمر**. قال النبيﷺ: **إني قد خبأت لك خبيئًا**. قال ابن صياد: هو الدخ. قال النبيﷺ: **اخسأ فلن تعدو قدرك**. قال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه. قال النبيﷺ: **إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**.

وأخرج البخاري من حديث محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال قلت: تحلف بالله ؟ قال: إني سمعت عمر يحلف علىٰ ذلك عند النبيﷺ فلم ينكره النبيﷺ. وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب ذكر ابن صياد رقم ٢٩٢٩.

(١) وحديث الجساسة يرويه الإمام مسلم عن فاطمة بنت قيس، نذكره مختصرًا أن النبيﷺ نادىٰ ذات يوم الصلاة جامعة، تقول: فجئت فصرت في الصف الذي يلي ظهور القوم، يعني: أقرب صفوف النساء إلىٰ الرجال، ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: **أتدرون لم جمعتكم**؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **أما والله إني ما جمعتكم لمغنم ولا لمغرم غير أن تميم الداري، حدثني بحديث كنت حدثتكم عنه، فوافق حديثي حديثه، وكان رجلًا نصرانيًّا فأسلم، وقد ركب البحر ومعه ثلاثون من أصحابه، فلعب بهم الموج شهرًا حتىٰ أرفأ إلىٰ جزيرة، فوجدوا دابة أهلب كثير الشعر، -ويقال: لكثير الشعر أهلب- لا يعرف قبله من دبره من كثرة شعره، يقول: فسألناها وخشينا أن تكون شيطانًا.**

فقالت: اذهبوا إلىٰ ذلكم الدير، فإن فيها رجلًا لأخباركم بالأشواق، ففزع تميم ومن معه إليه، خشية أن تكون تلك الجثاثة، ثم قالت: أنا الجثاثة، وأرشدتهم إلىٰ الذهاب إلىٰ الدجال، يقول: فجئنا فإذا به رجل قوي الجسم ضخم الجثة، قد ربطت يداه إلىٰ عنقه، ورجلاه كذلك، فوصفوه وصفًا مهولًا، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: أما أنتم فقد قدرتم علىٰ خبري، ولكن أنتم من أنتم؟ قالوا: أناس من الأعراب، وقد لعب بنا البحر وذكر القصة.

=

وأخبر في أحاديث أخرىٰ أنه يمكث أربعين يومًا، يومًا كسنة ويوم[١] كشهر، ويوم كأسبوع، ويوم كأيام الدنيا العادية، وأنه كالغيث استدبرته الريح لسرعة مشيه، واتباع الناس له، وأخبر ﷺ من أوصافه أنه أعور العين اليسرىٰ، وأن عينه كأنها عنبة طافية.

❊ ❊ ❊

=

ثم قال: ما أخبار بحيرة طبرية، فقالوا: عن أي أخبارها تسأل؟ فقال: هل بها ماء؟ قالوا: نعم، قال: أما أنها موشكة أن تنضب، ثم قال: أخبروني عن نخل بيسان، فسألوه عن أي حالة تسأل، فقال: أبه ثمر؟ قالوا: نعم، قال: إنه يوشك ألا يثمر، ثم قال: أخبروني عن زهر، وهل أهلها يزرعون عليها، قالوا: نعم، فقال: أخبروني عن بني الأميين -يعني: بذلك النبي ﷺ - فقالوا: قد ظهر علىٰ من حوله من العرب وهاجر إلىٰ يثرب، قال: إنه خير لهم أن يتبعوه.

ثم أخبر قال: إنه هو المسيح، قال: إنني أنا المسيح، وإنه يوشك أن يؤذن لي في الظهور فلا أدع قرية ولا مدينة إلا دخلتها إلا مكة وطيبة، فإني كلما أردت أن أدخلها قابلني ملك بسيف سلط -يعني: ليس في جرابه؛ بل هو مسلول- وعلىٰ كل نقب منهما ملائكة تحرسها.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن المدينة ترجف ثلاث رجفات، فيخرج إلىٰ الدجال منها كل كافر ومنافق، ثم استبشر النبي ﷺ بحديث تميم.

(١) عن النواس بن سمعان قال: قالوا: يا رسول الله ما لبثه في الأرض ؟ قال: «**أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**» قالوا: يا رسول الله، فذلك اليوم كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له**» قالوا: وما إسراعه في الأرض ؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح**» قال الشيخ الألباني: صحيح انظر حديث رقم ٤١٦٦ في صحيح الجامع.

قال الإمام أحمد:

(وأن عيسىٰ بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد).

جاءت أحاديث كثيرة في هذا الباب وأحاديث صحيحة، ولا شك فيها وهذه أدلة قاطعة لا يبقىٰ بعدها مجال للشك في نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان، ثم يموت ويدفنه المسلمون.

قال الشيخ صالح السحيمي(١) -حفظه الله تعالىٰ-(٢): نعود إلىٰ مسألتنا مسألة نزول المسيح هو ينكرها وأنكرها معه آخرون من القدامىٰ من المعتزلة، ومن معتزلة هذا العصر الذين شاركوا هذا الرجل وأضرابه في إنكار هذه القضية، كما أنكروا المسيح الدجال، وأنكروا قضايا أخرىٰ، قالوا: المسيح ما يمكن ينزل قبل يوم القيامة لماذا؟ قالوا: لأنه توفي يعني: شاركوا النصارىٰ، النصارىٰ هم الذين قالوا: إنه مات، واليهود هم الذين قالوا: إنه صلب ومات.

أما الذي عليه جمهور أهل السنة ولا عبرة بمن شذ أن المسيح عليه السلام عيسىٰ ماذا حصل به؟ رفع إلىٰ السماء: ﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨].

---

(١) في شرح شرح أصول السنة.

(٢) وهي شروح صوتية محفوظه علىٰ موقع الشيخ وفي مكتبة المسجد النبوي، ولقد قمت بعون الله تعالىٰ بتفريغ جميع الأشرطة أعانني علىٰ بعضها الإخوة في دار الإمام أحمد وقمت بالاعتناء بها وهي الآن جاهزة للطبع.

أخذته سنة من النوم، ثم ألقىٰ الله شبهه علىٰ يهوذا، ثم رفعه إليه وسينزل قبل يوم القيامة، سينزل ويحكم بشريعة الله يصلي خلف المهدي[1] ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويحكم سبع سنين، ويعطي حتىٰ لا يرىٰ للعطية موضعًا ويكثر في عهده المال، ويكثر في عهده الخير، ويقضي في عهده علىٰ يأجوج ومأجوج ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويملأ الأرض عدلًا، كما ملئت جورًا.

هذا هو نزول المسيح عليه السلام قبل يوم القيامة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩].

يقول أهل الكتاب: إنه سيوجد منكم من يؤمن به قبل يوم القيامة، وذلك عندما إيش؟ ينزل علىٰ المنارة البيضاء كما جاء في صحيح البخاري ومسلم في

---

(١) وردت أحاديث كثيرة في وصف المهدي والأحداث التي تكون عند نزوله منها: ما رواه أبو داود من حديث عاصم عن زر عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم قال زائدة في حديثه: لطول الله ذلك اليوم ثم اتفقوا حتىٰ يبعث [الله] فيه رجلًا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، زاد في حديث فطر: يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وقال في حديث سفيان: لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتىٰ يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي.

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

ومنها: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحًا وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعًا أوثمانيًا** -يعني: حجة-» (أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٨) وقال صحيح ووافقه الذهبي وعن أبي سعيد الخدري. وانظر الصحيحة رقم ٧١١.

ومنها: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**» قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٨٦): رواه ابن ماجه (٤٠٧٥) وأحمد (١/ ٨٤).

دمشق، فيستقبله المسلمون، وعندها يحكم بالإسلام وبشريعة نبينا محمد ﷺ التي جاء بها من عند الله يعني: ما يأتي بنبوة جديدة، ولذلك نزوله لا يتعارض مع قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ولا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «**لا نبي بعدي**»(١).

وقوله ﷺ: «**وختمت بي الرسالات**».

لأنه عندما ينزل لا ينزل علىٰ أنه مرسل جديد، وإنما ينزل ليحكم بماذا؟ بشريعة نبينا محمد ﷺ فإذن هذا هو نزول المسيح عليه السلام والآية نص: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٥٨].

فإن أشكل علىٰ الإنسان، علىٰ أحد قوله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران:٥٥].

مسألة التوفي تطلق علىٰ النوم، كما تطلق علىٰ الموت، ولذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٦٠].

يتوفاكم بالليل حال النوم، ويعلم ما جرحتم بالنهار، وهي الموتة الصغرىٰ، ويقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الزمر:٤٢].

---

(١) أخرجه البخاري باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم (٣٢٦٨).

إذن الأمر واضح، وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: **«يوشك أن ينزل فيكم المسيح بن مريم يكسر الصليب ويضع الجزية، ويحكم سبع سنين ويعطي المال صحاحًا ويملأ الأرض عدلًا كما ملأت جورًا وظلمًا»**.

* * *

قال الإمام أحمد:

(والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا).

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح العقيدة الواسطية عند قول شيخ الإسلام (وَهُم وَسَطٌ) يعني أهل السنة والجماعة وسط (فِي بَابِ أَفعَالِ اللهِ بَينَ الجَبرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وغيرهم وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَينَ المُرجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغِيرِهِم.وَفِي بَابِ أَسمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَينَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ، وَبَينَ المُرجِئَةِ وَالجَهمِيَّةِ وَفِي أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَينَ الرَّافِضَةِ وَبين الخَوَارِجِ):

وهذه مسألة عظيمة؛ لأنها من المسائل التي أوجبت الافتراق والاختلاف في هذه الأمة؛ لأن مسألة الاسم، من تُطلِق عليه الاسم أسماء الإيمان، أو من تُطلِق عليه أسماء الفسوق هذه من الأسباب التي أحدثت الافتراق في الأمة، فدائمًا إذا توبع فيها الشر ما حصل الاختلاف والافتراق، وإذا بغىٰ الناس بغىٰ بعضهم علىٰ بعض فإنه يحصل الافتراق والاختلاف.

كذلك من الأسماء البدعة والتبديع والفسق والتفسيق والإيمان الإسلام الشهادة الإحسان الإمامة، كل هذه الأسماء يجب ألا تطلق إلا علىٰ من دل الدليل علىٰ استحقاقه لها، أو دل الدليل علىٰ استحقاقه بسلبه إياها.

والخروج فيها عن مقتضىٰ الأدلة وعن مقتضىٰ كلام أهل السنة يوقع الفرقة والاختلاف.

لهذا يجب علىٰ طالب العلم ألا يطلق هذه الأسماء إلا علىٰ ما علم بالدليل الواضح أنه يُطلَقُ علىٰ صاحبه شيء من هذه الأسماء.

وقال -حفظه الله-: هذه المسائل التي تسمىٰ مسائل الأسماء والأحكام هذه مما كان أهل السنة -رحمهم الله تعالىٰ- فيه في الوسط بين الغالين والجافين؛ فالذين غلوا فسلبوا أسماء الدين والإيمان عمن يستحقها شرعًا، هؤلاء هم الحرورية والمعتزلة أو الأحكام في ذلك.

وبين الذين وصفوا بأسماء الدين والإسلام وأسماء الإيمان ونحو ذلك من لم يستحقها وهم المرجئة[1].

فلما كانت هذه المسألة من المسائل المهمة فلابد من الاهتمام بها بشيء من التفصيل مبينًا ذلك بعدة فوائد هي:

الفائدة الأولىٰ: الإيمان أصله في اللغة: التصديق الجازم، فهو تصديق وجزم.

أما في الشرع: فيعرفه أهل السنة والجماعة بأن قولٌ وقصد وعمل، القول يكون باللسان والعمل بالجوارح والقصد بالقلب.

الفائدة الثانية: الفرق بين قول القلب وعمل القلب؛ فقول القلب: إقراره وإيمانه بالشيء، وعمله: حركته بمعنىٰ المحبة الخوف الرجاء وما أشبه ذلك، هذه لا تسمىٰ قول القلب وإنما تسمىٰ عمل القلب، لكن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هذا يسمىٰ قول القلب، هذا هو الفرق بين قول القلب وعمل القلب. انظر شرح السفارينية للشيخ العثيمين.

---

(١) نقلًا من شرح الشيخ للعقيدة الواسطية، انظر برنامج المكتبة الشاملة كتب الشيخ صالح قسم العقيدة شرح العقيدة الواسطية (١٢/ ٤٦٤).

الفائدة الثالثة: المخالفون لأهل السنة طوائف منهم:

١ - المرجئة، وهم أقسام:

منهم: الغلاة كالجهمة الذين يقولون أن الايمان المعرفة فقط، ولازم قولهم أن فرعون مؤمن.

ومنهم: الكرامية الذين يقولون الإيمان قول باللسان فقط وأن لم يكن معه اعتقاد، ولازم قولهم أن المنافقين مؤمنون.

ومنهم: مرجئة الفقهاء الذين يقولون إن الأعمال لا تدخل في مسمىٰ الإيمان وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٢ - المعتزلة:

وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري حين كان الحسن يقرر أن فاعل الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فأعتزله واصل وجعل يقرر أن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين، ومذهبهم في الصفات إنكار صفات الله كالجهمية.

ومذهبهم في أفعال العباد أن العبد مستقل بفعله ويفعل بإرادة وقدرة مستقلًّا عن قضاء الله وقدره عكس الجهمية ولذلك سموا قدرية.

ومذهبهم في الوعيد أن فاعل الكبيرة مخلد في النار عكس الجهمية القائلين بأنه لا يدخل النار ولذلك سموا الوعيدية.

ومذهبهم في أسماء الإيمان والدين أن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين ليس مؤمنًا ولا كافرًا عكس الجهمية القائلين بأنه مؤمن كامل الإيمان ولذلك سموا أصحاب المنزلة بين منزلتين.

٣- الخوارج:

سموا بذلك لخروجهم علىٰ إمام المسلمين ويقال لهم: الحرورية نسبة إلىٰ حروراء موضع بالعراق قرب الكوفة خرجوا فيه علىٰ علي بن أبي طالب، كانوا من أشد الناس تدينًا في الظاهر حتىٰ قال فيهم النبيﷺ لأصحابه: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم إلىٰ يوم القيامة**».

ومذهبهم في الوعيد أن فاعل الكبيرة مخلد في النار كافر يحل دمه وماله ومن ثم استباحوا الخروج علىٰ الأئمة إذا فسقوا. انظر تعليقات علىٰ الواسطية للشيخ العثيمين.

الفائدة الرابعة: مسألة الاستثناء في الإيمان وضوابطها:

الاستثناء في الإيمان: أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ- عن حكم قول الإنسان: أنا مؤمن إن شاء الله؟

فأجاب بقوله: قول القائل: أنا مؤمن إن شاء الله، يسمىٰ عند العلماء مسألة الاستثناء في الإيمان، وفيه تفصيل:

أولًا: إن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم بل كفر، لأن الإيمان جزم والشك ينافيه.

ثانيًا: إن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولًا وعملًا واعتقادًا، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور.

ثالثًا: إن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة، أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله، فهذا جائز والتعليق علىٰ هذا الوجه أعني بيان التعليل لا ينافي تحقق المعلق؛ فإنه قد ورد التعليق علىٰ هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعالىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾.

والدعاء في زيارة القبور: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم علىٰ الاستثناء في الإيمان بل لابد من التفصيل السابق.

فائدة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]: بيَّنَّا فيما سبق أن هؤلاء القوم لم يتحقق فيهم كمال الإيمان، أي: معهم أصل الإيمان فقالوا: آمنا، والإيمان المطلق لا يُعطَىٰ لمن لم يتم إيمانه، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم يدخل الإيمان الكامل في قلوبكم ولكنه قريب، لأن (لما) تفيد قرب مدخولها.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الحجرات:١٤] أي: إن قمتم بطاعة الله ورسوله بامتثال أوامر الله ورسوله، واجتناب نهي الله ورسوله، فإن الله لن ينقصكم أعمالكم شيئًا، سيعطيكموها تامة بلا نقصٍ، وقد تقرر أن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وأن من جاء بالسيئة فإنه لا يجزىٰ إلا مثلها وهم لا يظلمون[1] انظر لقاء الباب المفتوح.

---

(١) انظر لقاء الباب المفتوح للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

الفائدة الخامسة: الفرق بين الإسلام والإيمان:

الإسلام لغة: الانقياد.

وشرعًا: استسلام العبد لله ظاهرًا وباطنًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ فيشمل الدين كله قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وأما الإيمان فهو لغة: التصديق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾.

وفي الشرع: إقرار القلب المستلزم للقول والعمل، فهو اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل القلب والجوارح.

وبذلك عرف أن الإيمان يشمل الدين كله، وحينئذٍ لا فرق بينه وبين الإسلام، وهذا حينما ينفرد أحدهما عن الآخر، أما إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان وعمل الجوارح، ويصدر من المؤمن الكامل الإيمان، والضعيف الإيمان قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ ومن المنافق لكن يسمىٰ مسلمًا ظاهرًا ولكنه كافر باطنًا.

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من المؤمن حقًّا كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

وبهذا المعنىٰ يكون الإيمان أعلىٰ؛ فكل مؤمن مسلم ولا عكس. انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ العثيمين

الفائدة السادسة: الأدلة علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه:

من أصول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص وقد دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾.

ومن أدلة السنة: قوله ﷺ في النساء: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**».

ففي الآية إثبات زيادة الإيمان، وفي الحديث إثبات نقص الدين.

وكل نص يدل علىٰ زيادة الإيمان فإنه يتضمن الدلالة علىٰ نقصه وبالعكس، لأن الزيادة والنقص متلازمان لا يعقل أحدهما بدون الآخر.

وقد ثبت لفظ الزيادة والنقص منه عن الصحابة ولم يعرف منهم مخالف فيه، وجمهور السلف علىٰ ذلك.

قال ابن عبد البر: وعلىٰ أن الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتيا في الأمصار، وذكر عن مالك روايتين في إطلاق النقص إحداهما: التوقف، والثانية: موافقة الجماعة. انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ العثيمين.

الفائدة السابعة: لابد من التقيد بالالفاظ الشرعية والسير علىٰ طريقة السلف في تعاريفهم وألفاظهم، لأنه ظهرت في الآونة الأخيرة مصطلحات وألفاظ وقيود لم تكن معروفة عند علماء السلف ومن ذلك (جنس العمل) وبالغ فيه بعض الناس حتىٰ جعلها من ضوابط تعريف الإيمان، والواجب الاقتصار علىٰ ضوابط وأصول السلف وخصوصا في مسائل الاعتقاد.

قال الإمام أحمد:

(ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة من تركها فهو كافر وقد أحل الله قتله).

إن مسألة حكم تارك الصلاة تكاسلًا من المسائل الكبيرة التي اختلف فيها العلماء سلفًا وخلفًا، والسبب في ذلك ورود النصوص في تكفير تارك الصلاة، فمن أهل العلم من حملها علىٰ التارك تكاسلًا، ومن أهل العلم من حملها علىٰ من تركها جحودًا.

وطالب العلم والباحث المنصف لابد أن يستعرض أدلة الطرفين وينظر فيها قبل الترجيح.

وقبل سرد أدلة الطرفين في هذه المسألة الكبيرة لابد من التنبيه إلىٰ مسألة مهمة، وهي أنه لا يلزم من القول بتكفير تارك الصلاة تكاسلًا من أن قائله تكفيري خارجي، ولا يلزم من القول بعدم تكفير تارك الصلاة تكاسلًا من أنه مرجئ؛ لأن هذه المسألة من المسائل الفقهية التي اختلف فيها العلماء سلفًا وخلفًا.

أولًا: أدلة الذين يرون تكفير تارك الصلاة تكاسلًا:

من القرآن: فقوله تعالىٰ في المشركين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].

فاشترط الله لثبوت الأُخُوَّة في الدِّين ثلاثةَ شروط:

الأولُ: التوبة من الشِّرك.

والثَّاني: إقامة الصَّلاة.

والثالث: إيتاء الزَّكاة.

أما الزكاة: فمن العلماء من التزم ظاهر الآية، ومن العلماء من أخرج الزكاة استدلالًا بقول الرسولﷺ في الذي لا يؤتي الزكاة: «**أنه يرىٰ سبيله إما إلىٰ الجَنَّة وإما إلىٰ النَّار**»، ولو كان من الكفار لكان مقطوعًا بدخوله النار فيقي الشرك وترك الصلاة.

من السنة: قول الرسولﷺ: «**بين الرَّجُل وبين الشِّرك والكفر تركُ الصَّلاة**»[(١)].

وقال: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصَّلاة، فمن تركها فقد كفر**»[(٢)].

وأما أقوال الصَّحابة: فإنها كثيرة، رُويت عن سِتَّة عشر صحابيًّا، منهم عمر ابن الخطاب، ونقل عبد الله بن شقيق وهو من التابعين عن أصحاب النبيﷺ عمومًا القول بتكفير تارك الصلاة، فقال: «كان أصحابُ النبيﷺ لا يرونَ شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»، ولهذا حَكىٰ الإجماعَ إسحاقُ بن راهويه الإمام المشهور فقال: ما زال الناس من عهد الصحابة يقولون: إن تاركَ الصَّلاة كافر[(٣)].

ثانيًا: أدلة الذين لا يرون تكفير تارك الصلاة:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه القيم حكم تارك الصلاة: الذين لا يكفرونه بتركها قالوا: قد ثبت له حكم الإسلام بالدخول فيه فلا نخرجه عنه إلا بيقين.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه باب بيان إطلاق اسم الكفر علىٰ من ترك الصلاة.

(٢) رواه الإمام أحمد المسند (٥/ ٣٤٦)، وأهل السنن النسائي رقم ٢٤٦٣، الترمذي رقم ٢٦٢٣، ابن ماجه رقم ١٠٧٩، وقال الترمذي: حديث صحيح إسناده علىٰ شرط مسلم وكذلك قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

(٣) انظر كتاب تارك الصلاة للشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-.

قالوا: وقد روىٰ عبادة بن الصامت عن النبي أنه قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسولهن وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**» أخرجاه في الصحيحين البخاري رقم ٣٤٣٥ مسلم رقم ٢٨.

وعن أنس أن النبي قال ومعاذ رديفة علىٰ الرحل: «**يا معاذ**» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثًا، قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله علىٰ النار**» قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذن يتكلوا**» فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا. متفق علىٰ صحته البخاري رقم ١٢٨ مسلم ٢٣٠.

عن أبي هريرة عن النبي قال: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» رواه البخاري رقم ٩٩. انتهىٰ كلام ابن القيم.

وروىٰ الإمام معمر بن راشد في الجامع (١١/ ٤٠٩-٤١١ الملحق ب) (مصنف عبد الرزاق) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا فـ [والذي نفسي بيده] ما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار.**

قال: يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا [ويجاهدون معنا] فأدخلتهم النار؟ قال: فيقول: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم، فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم [لم تغش الوجه]، فمنهم من أخذته النار إلىٰ أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلىٰ كعبيه،

[فيخرجون منها بشرًا كثيرًا].

فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا ثم يقول: ارجعوا ف] من كان في قلبه وزن نصف دينار [فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا...] حتىٰ يقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة [فيخرجون خلقًا كثيرًا].

قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا الحديث فليقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

قال: ثم [يعودون فيتكلمون ف] يقول: أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من الإيمان، [فيخرجون خلقًا كثيرًا]، ثم [يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا قال: فيقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا فلم يبق في النار أحد فيه خير، قال: ثم يقول الله: شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين.

قال: فيقبض قبضة من النار - أو قال: قبضتين - ناسًا لم يعملوا لله خيرًا قط قد احترقوا حتىٰ صاروا حممًا، قال: فيؤتىٰ بهم إلىٰ ماء يقال له: الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل [قد رأيتموها إلىٰ جانب الصخرة وإلىٰ جانب الشجرة، فما كان إلىٰ الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلىٰ الظل كان أبيض].

قال: فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ وفي أعناقهم الخاتم -وفي رواية: الخواتم- عتقاء الله قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة فما تمنيتم ورأيتم من شيء فهو لكم [ومثله معه]، [فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم

الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه] قال: فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، قال: فيقول: فإن لكم عندي أفضل منه، فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك؟ [قال:] فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم»[1].

قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: فقهه: بعد تخريج هذا الحديث هذا التخريج الذي قد لا تراه في مكان آخر وبيان أنه متفق عليه بين الشيخين وغيرهما من أهل الصحاح والسنن والمسانيد أقول: في هذا الحديث فوائد جمة عظيمة:

منها: شفاعة المؤمنين الصالحين في إخوانهم المصلين الذين أدخلوا النار بذنوبهم، ثم بغيرهم ممن هم دونهم علىٰ اختلاف قوة إيمانهم، ثم يتفضل الله - تبارك وتعالىٰ- علىٰ من بقي في النار من المؤمنين فيخرجهم من النار بغير عمل عملوه ولا خير قدموه.

ولقد توهم بعضهم أن المراد بالخير المنفي تجويز إخراج غير الموحدين من النار.

قال الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٢٩): ورد ذلك بأن المراد بالخير المنفي ما زاد علىٰ أصل الإقرار بالشهادتين كما تدل عليه بقية الأحاديث.

قلت: منها قوله ﷺ في حديث أنس الطويل في الشفاعة أيضًا: «**فيقال**:

---

(١) الحديث صححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم ٢٢٥٠ وقال: وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين وهو من رواية عبد الرزاق عن معمر، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد (٣/ ٩٤)، والنسائي (٢/ ٢٧١)، وابن ماجه (رقم ٦٠)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٨٤ و٢٠١ و٢١٢)، وابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (رقم٢٧٦).

يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله» متفق عليه وهو مخرج في ظلال الجنة (٢/ ٢٩٦).

وفي طريق أخرىٰ عن أنس: «... **وفرغ الله من حساب الناس وأدخل من بقي من أمتي النار فيقول أهل النار: ما أغنىٰ عنكم أنكم كنتم تعبدون الله ﷻ لا تشركون به شيئًا؟ فيقول الجبار ﷻ: فبعزتي لأعتقنهم من النار فيرسل إليهم فيخرجون وقد امتحشوا فيدخلون في نهر الحياة فينبتون...**» الحديث أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح وهو مخرج في الظلال تحت الحديث (٨٤٤) وله فيه شواهد (٨٤٣ - ٨٤٣) وفي (الفتح) (١١/ ٤٥٥) شواهد أخرىٰ.

وفي الحديث رد علىٰ استنباط ابن أبي جمرة من قوله ﷺ فيه: «**لم تغش الوجه**» ونحوه الحديث الآتي بعده: «ألا دارات الوجوه»: أن من كل من مسلمًا ولكنه كان لا يصلي لا يخرج [من النار] إذ لا علامة له.

ولذلك تعقبه الحافظ بقوله (١١/ ٤٥٧): لكنه يحمل علىٰ أنه يخرج في القبضة لعموم قوله: «**لم يعملوا خيرًا قط**»، وهو مذكور في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد يعني هذا الحديث.

وقد فات الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن في الحديث نفسه تعقبًا علىٰ ابن أبي جمرة من وجه آخر، وهو أن المؤمنين لما شفعهم الله في إخوانهم المصلين والصائمين وغيرهم في المرة الأولىٰ فأخرجوهم من النار بالعلامة، فلما شفعوا في المرات الأخرىٰ وأخرجوا بشرًا كثيرًا لم يكن فيهم مصلون بداهة وإنما فيهم من الخير كل حسب إيمانهم، وهذا ظاهر جدًّا لا يخفىٰ علىٰ أحد إن شاء الله.

مباحث ومناقشات[1]:

وعلىٰ ذلك فالحديث دليل قاطع علىٰ أن تارك الصلاة إذا مات مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله أنه لا يخلد في النار مع المشركين؛ ففيه دليل قوي جدًّا أنه داخل تحت مشيئة الله تعالىٰ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده (٦/ ٢٤٠) حديثًا صريحًا في هذا من رواية عائشة رضي الله عنها مرفوعًا بلفظ: «**الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة**...» الحديث، وفيه: فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال عز وجل: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء... الحديث وقد صححه الحاكم (٤/ ٥٧٦).

وهذا وإن كان غير مسلم عندي لما بينته في تخريج الطحاوية (ص٣٦٧ - الطبعة الرابعة) فإنه يشهد له هذا الحديث الصحيح، فتنبه إذا عرفت ما سلف -يا أخي المسلم- فإن عجبي لا يكاد ينتهي من إغفال جماهير المؤلفين الذين توسعوا في الكتابة في هذه المسألة الهامة ألا وهي: هل يكفر تارك الصلاة كسلًا أم لا ؟

لقد غفلوا جميعًا -فيما اطلعت- عن إيراد هذا الحديث الصحيح مع اتفاق

---

(١) لازال الكلام للشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

الشيخين وغيرهما علىٰ صحته لم يذكره من هو حجة له ولم يجب عنه من هو حجة عليه، وبخاصة منهم الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- فإنه مع توسعه في سوق أدلة المختلفين في كتابه القيم (الصلاة) وجواب كل منهم عن أدلة مخالفه، فإنه لم يذكر هذا الحديث في أدلة المانعين من التكفير إلا مختصرًا اختصارًا مخلًّا لا يظهر دلالته الصريحة علىٰ أن الشفاعة تشمل تارك الصلاة أيضًا؛ فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي حديث الشفاعة: يقول الله ﷻ: **وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله**، وفيه: **فيخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط**.

قلت: وهذا السياق ملفق من حديثين، فالشطر الأول منه: هو في آخر حديث أنس المتفق عليه وقد سبق أن ذكرت (ص ٣٣) الطرف الأخير منه، والشطر الآخر هو في حديث الكتاب: فيقبض قبضة من النار ناسًا لم يعملوا لله خيرًا قط...

وأما إن اختصاره اختصار مخل فهو واضح جدًّا إذا تذكرت أيها القارئ الكريم ما سبق أن استدركته علىٰ الحافظ (ص ٣٤) متممًا به تعقيبه علىٰ ابن أبي جمرة مما يدل علىٰ أن شفاعة المؤمنين كانت لغير المصلين في المرة الثانية وما بعدها وأنهم أخرجوهم من النار.

فهذا نص قاطع في المسألة ينبغي به أن يزول به النزاع في هذه المسألة بين أهل العلم الذين تجمعهم العقيدة الواحدة التي منها عدم تكفير أهل الكبائر من الأمة المحمدية وبخاصة في هذا الزمان الذي توسع فيه بعض المنتمين إلىٰ العلم في تكفير المسلمين لإهمالهم القيام بما يجب عليهم عمله مع سلامة عقيدتهم، خلافًا للكفار الذين لا يصلون تدينًا وعقيدة، والله ﷻ يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

راجع كتاب حكم تارك الصلاة للشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

قال الشوكاني في نيل الأوطار: أن ترك الصلاة من موجبات الكفر، ولا خلاف بين المسلمين في كفر من ترك الصلاة منكرًا لوجوبها إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو لم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة.

وإن كان تركه لها تكاسلًا مع اعتقاده لوجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف الناس في ذلك فذهبت العترة والجماهير من السلف والخلف منهم مالك والشافعي إلىٰ أنه لا يكفر بل يفسق، فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلىٰ أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد بن حنبل، وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي.

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي إلىٰ أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتىٰ يصلي.

فائدة: الذين يرون تكفير تارك الصلاة علىٰ قسمين:

١- يكفر بمجرد ترك فريضة.

٢- لا يكفر إلا من ترك الصلاة دائمًا ولم يصلي لله صلاة واحدة. انظر مجموع فتاوىٰ الشيخ العثيمين (ج٢٦/ ١٦) كتاب الصلاة.

* * *

قال الإمام أحمد:

(وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورىٰ الخمسة علي بن أبي طالب والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة كلهم للخلافة.

وكلهم إمام ونذهب في ذلك إلىٰ حديث ابن عمر: كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت، ثم من بعد أصحاب الشورىٰ أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ قدر الهجرة والسابقة أولًا فأولًا.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن لذي بعث فيهم كل من صحبه سنة أو شهرًا أو يومًا أو ساعة ورآه فهو من أصحابه له الصحبة علىٰ قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه نظر، فأدناهم صحبة أفضل من القرن الذي لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبتهم من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير).

الفائدة الأولىٰ: وردت في فضائل أبي بكر الصديق الكثير من النصوص منها:

قال -عليه الصلاة والسلام-: «إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون منكم خليل، ولو

كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا» [١].

الفائدة الثانية: الأدلة علىٰ استحقاقه للخلافة:

قال الشيخ صالح السحيمي في شرح السنة للبربهاري[٢]: فأبو بكر الصديق ﷺ هو أفضل هذه الأمة استخلفه الرسول ﷺ في صلاته، ونص أو جاء ما يشبه النص علىٰ خلافته من تقدمه للإمامة وتقديمه لأمور كثيرة، كلها أرهاصات وأشارات إلىٰ أن يختاره المسلمون بعد، ثم اجتمعت الأمة علىٰ أبي بكر الصديق ﷺ.

الفائدة الثالثة: من فضائل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ﷺ:

قال الشيخ صالح السحيمي[٣]: كذلك عمر بن الخطاب ﷺ الذي أخبر عنه الرسول ﷺ أنه ما سلك فجًّا إلا سلك الشيطان فجًّا آخر، وهو ختن رسول الله ﷺ، وهو ثاني الخلفاء، وأحد المبشرين بالجنة، وأحد البكائين، وأحد الزهاد ﷺ، وهو الذي فتح الله علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها فأتم ما ابتدأه سلفه أبو بكر ﷺ، وفضائله أجل من أن تحصىٰ.

وذي النورين عثمان بن عفان ﷺ الذي زوجه النبي ﷺ ابنتيه، والذي أكمل

---

(١) أخرجه البخاري باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا رقم ٣٤٥٦ عن ابن عباس ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي**».

(٢) وهو من شروحات الشيخ الصوتية المحفوظة في تسجيلات الحرم المدني.

(٣) أخرجه البخاري باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلًا رقم ٣٤٧٠ عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

الله به الفتوحات العظيمة، والذي بشره النبي ﷺ بالجنة علىٰ فتنة تصيبه حيث تألب عليه المنافقون، وقتلوه قتلهم الله تعالىٰ.

الفائدة السابعة: الخروج علىٰ الحكام علىٰ قسمين:

لقد ابتدأ الفكر الخارجي يظهر بقوة في نهاية خلافة عثمان رضي الله عنه.

وكان الخروج علىٰ نوعين:

الأول: خروج بالسان حيث ابتدأ أهل الفتنة والنفاق يذكرون عثمان رضي الله عنه وولاته بسوء[١] في المحافل العامة والخاصة مما أدىٰ بالنهاية إلىٰ:

النوع الثاني: وهو الخروج بالسيف وهو ثمرة الخروج باللسان وهو أخطر ما وجهته الأمة من البدع، فنفتح باب الفتن علىٰ مصراعيه والله المستعان.

ومن الفوائد المنهجية الأخرىٰ: أن من الأصول المتقررة عند أهل السنة أن ذكر مثالب الولاة في المحافل العامة والخاصة من علامات أهل البدع والضلال[٢].

قال الشيخ صالح السحيمي: وكذا رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأنه داخل في قول الرسول ﷺ: «**الخلافة ثلاثون**»، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم رسول الله ﷺ، وزوج سيدة نساء الجنة أم السبطين الحسن

---

(١) **قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في شرح السفارينية**: لأن بعض الناس مشغوف والعياذ بالله بنشر المساوئ من ولاة الأمور وكتم المحاسن فيكون معه جورٌ في الحكم وسوء في التصرف.

(٢) ولقد ظهر في الآونة الأخير جماعة من الخوارج سلكوا طريق أسلافهم في الطعن بالخليفة الثالث ويسمون فترة خلافته بأنها جفوة بين الخليفتين عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنهما.

والحسن، وهو الذي استشهد علىٰ أيدي الفرقة المارقة الذي أخبر عنهم الرسول ﷺ بأنهم «**يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري باب قول الله ﷻ رقم ٣١٦٦، وأخرجه مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم رقم ١٠٦٤.

قال الإمام أحمد:

(والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به ومن علا عليهم بالسيف حتىٰ صار خليفة وسمي أمير المؤمنين.

والغزو ماض مع الإمام إلىٰ يوم القيامة البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلىٰ الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم.

ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة باقية تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم؛ فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين وتدين بأنها تامة لا يكن في صدرك من ذلك شيء.

ومن خرج علىٰ إمام من أئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع علىٰ غير السنة).

قال الشيخ العثيمين في شرح العقيد السفارينية: لابد أن نعرف من هو الإمام؟ من يستحق الإمامة؟ لابد أن نعرف ما حق الإمام علىٰ رعيته ؟ وما حق الرعية علىٰ الإمام؟ لأنه كَثُرَ القيل والقال وخاض في ذلك من هو من الجاهلين فصاروا يتخبطون خبط عشواء فيما يلزم الإمام وفيما يلزم الرعية.

وغالبهم يميل إلىٰ تحميل الإمام ما لا يلزمه حمله وتبرئة الشعب مما يلزمهم القيام به هذا غالبهم، لأن بعض الناس مشغوف والعياذ بالله بنشر المساوئ من ولاة الأمور وكتم المحاسن فيكون معه جورٌ في الحكم وسوءٌ في التصرف.

إذن لابد أن الآن أن نعرف من هو الإمام وبما تثبت الإمامة وما حق الإمام علىٰ الرعية وما حق الرعية علىٰ الإمام، وما طريق السلف في معاملة الأئمة الظلمة والمنحرفين حتىٰ نمشي علىٰ طريقهم ونكون أمةً سلفية، وحتىٰ نعلم في الواقع أننا لا نبرئ أنفسنا نحن من النقص، أليس كذلك ؟ بل نحن ناقصون.

إذا قارنت بين أعمالنا وعقائدنا وبين ما كان عليه الصحابة وجدت أن الفرق بيننا وبينهم كالفرق بين زماننا وزمانهم، وأن الفرق كبير، وإذا كان الأمر كذلك فكيف نريد أن يكون لنا ولاةٌ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟ هذا ظلم هذا تأباه حكمة الله ﷻ ؛ ولهذا جاء في الأثر: كما تكونون يُولىٰ عليكم[1].

كيف نريد أن يكون خلفاء الأمة الإسلامية كخلفاء الأمة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ونحن علىٰ هذه الحال ؟ كذب غش ظلم سوء عقيدة عدِّد ولا تخف.

ويُذكر أن عبد الملك بن مروان شاور أن الناس قد ملُّوه وأن عندهم شيء من التمرد عليه، فجمع وجهاء القوم وأعيانهم وتكلم فيهم وهو جيد في الكلام وقال لهم: أتريدون أن نكون لكم كأبي بكرٍ وعمر ؟ سيقولون: نعم، قال: إن كنتم تريدون ذلك فكونوا لنا كالذين كانوا لأبي بكرٍ وعمر، فأقام عليهم الحجة.

---

(١) مخرج في مسند الشهاب (٥٧٧) عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال: **كما تكونون يولىٰ أو يؤمر عليكم.**

وكذلك أيضًا رجل خارجي يُنقل عن علي ﷺ أن رجلًا خارجيًّا قال له: يا علي، لا يقول: يا أمير المؤمنين، يقول: يا علي، يا علي كيف دان الناس لأبي بكر وعمر ولم يدينوا لك ؟ قال: لأن أبا بكرٍ وعمر كان رجالهم أنا وأمثالي وكان رجالي أنت وأمثالك، فأقام عليه الحجة.

فالمهم أنه لا يمكن يا إخواني أن نطمع في أن يكون ولاة أمورنا كأبي بكرٍ وعمر وعثمان، ونحن علىٰ الحال التي تشاهدون، يعني لا أقول إن البيت الذي فيه ثلاثة أنفار يكون فيه أربعة آراء، فالآراء أكثر من عدد الأنفار أو أكثر فكيف يكون هذا؟ أين الوفاق فينا؟

فالمهم أن هذا الباب الذي نحن مقبلون عليه بابٌ مهم يجب أن أعتني أنا أولًا ثم أنتم إن شاء الله ثانيًا.

❊ ❊ ❊

قال الإمام أحمد:

(ولا غنىٰ لأمة الإسلام، في كل عصرٍ كان عن إمام).

إمامةٌ في الدين وإمامةٌ في التدبير والتنظيم، فمن إمامة الدين الإمامة في الصلاة فإن الإمامة في الصلاة إمامته إمامة دين ومع ذلك فله نوعٌ من التدبير، حيث إن النبيﷺ أمر بمتابعته ونهىٰ عن سبقه والتخلف عنه فهذا نوع تدبير لأنه مثلًا، إذا كبَّر كبرنا وإذا ركع ركعنا وإذا سجد سجدنا وهلمَّ جرًّا.

أما إمامة التدبير فتشمل الإمام الأعظم ومن دونه، الإمام الأعظم هو الذي له الكلمة العليا في البلاد كالملوك ورؤساء الجمهوريات وما أشبه ذلك والإمام وما دونه كالوزراء والأمراء وما أشبه هذا والأمة الإسلامية كغيرها من الأمم بشر والبشر كائنٌ من الأحياء.

وكل حيٍّ فلابد له من رئيس، حتىٰ البهائم حتىٰ الطيور في الجو لها رئيس تتبعه؛ ولهذا كان الصيادون إذا مرت بهم جحافل من الطيور أو الضباع وما أشبه ذلك يصيرون أول ما يصيدون قائدهم، فإذا صادوا القائد ارتبكت المجموعة فسهُل صيدهم لأن كل كائنٍ من البشر لابد له من قائدٍ يقوده.

ولهذا أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- المسافرين إذا كانوا ثلاثة يعني فأكثر أن يُأمِّروا واحدًا منهم لأنه لابد من أمير، وإلا لاضطربت الأحوال وصار كل إنسان يقول أنا أمير نفسي وحينئذٍ يتزعزع الأمن ويحل الخوف.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ -يقصد السفاريني صاحب المتن-:

ولا غنىٰ لأمة الإسلام ... في كل عصرٍ كان عن إمام

يعني لا يمكن أن تستغني أمة المسلمين في كل عصر من عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- إلىٰ يومنا هذا عن إمام أي عن قائدٍ يقودها، وحتىٰ الأمم الكافرة لا بد لها من إمام؛ ولذلك تجد الأمم الكافرة ربما ينقادون لأئمتهم أكثر مما ينقاد بعض المسلمين لأئمتهم لأنهم يعلمون أن الأمن الاستقرار إنما يكون في اتباع الأئمة والانقياد لهم والانصياع لأوامرهم.

وهذه مسألة يغفل عنها كثيرٌ من المسلمين حدثنا بعض من يذهبون إلىٰ بلاد الكفر أن رعاياهم يتبعون الأنظمة تمامًا ويطبقونها تمامًا أنظمة المرور وأنظمة الأمن وغير ذلك مع أنهم كفار لا يرجون بهذا ثوابًا من الله ﷻ، لكن يعلمون أن انتظام الأمة وحفظ أمنها لا يكون إلا بهذا باتباع أوامر الرؤساء.

لذلك كانوا أشد تطبيقًا من المسلمين أو من بعض المسلمين لطاعة ولاة الأمور، مع أننا نحن بامتثالنا لطاعة ولي الأمر نرجو الثواب من الله ﷻ وبالمخالفة نخاف العقاب، لأن مخالفة أي نظام من أنظمة الدولة بدون سببٍ شرعي والسبب الشرعي سببٌ واحدٌ وحيد وهو أن يأمروا بمعصية الله ما سوىٰ ذلك تجب علينا طاعته من أجل حفظ الأمن.

بعض الناس يتوهم أنه لا تجب طاعتهم إلا حيث أمروا بما أمر الله به وهذا وهمٌ باطل، لأنهم إذا أمروا بما أمر الله به فأمرهم هذا تأكيدٌ لأمر الله فقط ولو أمرني أي واحد بما أمرني الله به لكانت الطاعة مفروضةً علي لأنه أمر الله لكن طاعة ولاة الأمور في غير المعصية شيءٌ وراء ذلك.

فيجب علينا أن نطيع ولاة الأمور في كل ما أمروا به ما لم يأمروا بمعصية، فإذن لابد للأمة بل وغير الإسلامية لابد لها من إمام يقودها يوجهها يأمرها ينهاها

وإلا لضاعت وأصبحت الأمور فوضىٰ.

قال الشاعر:

لا يصلح الناس فوضىٰ لا سَراةَ لهم ولا سَـــراةَ إذا جُهَّـــالُهُم ســـادوا

فلابد من قيادة ولابد من أن تكون هذه القيادة حكيمة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح العقيد الواسطية: فأهل السنة -رحمهم الله- يخالفون أهل البدع تمامًا؛ فيرون إقامة الحج مع الأمير، وإن كان من أفسق عباد الله.

وكان الناس فيما سبق يجعلون علىٰ الحج أميرًا، كما جعل النبيﷺ أبا بكر أميرًا علىٰ الحج في العام التاسع من الهجرة، وما زال الناس علىٰ ذلك، يجعلون للحجة أميرًا قائدًا يدفعون ويقفون بوقوفه، وهذا هو المشروع؛ لأن المسلمين يحتاجون إلىٰ إمام يقتدون به، أما كون كل إنسان علىٰ رأسه، فإنه يحصل به فوضىٰ واختلاف.

فهم يرون: إقامة الحج من الأمراء، وإن كانوا فساقًا، حتي وإن كانوا يشربون الخمر في الحج، لا يقولون: هذا إمام فاجر، لا نقبل إمامته؛ لأنهم يرون أن طاعة ولي الأمر واجبة، وإن كان فاسقًا، بشرط ألا يخرجه فسقه إلىٰ الكفر البواح الذي عندنا فيه من الله برهان، فهذا لا طاعة له، ويجب أن يزال عن تولي أمور المسلمين[1] لكن الفجور الذي دون الكفر مهما بلغ، فإن الولاية لا تزال به، بل هي ثابتة، والطاعة لولي الأمر واجبة في غير المعصية.

---

(١) لكن بالضوابط المقررة عند أهل السنة ومن أهمها: القدرة علىٰ إزالته من غير مفاسد تغلب علىٰ المصالح، إمكانية استخلافه بخير منه، أما إذا كان ذلك لا يتم إلا بمفاسد وسفك للدماء والنتيجة مجهولة فهذا يتوقف عنه.

خلافًا للخوارج، الذين يرون: أنه لا طاعة للإمام والأمير إذا كان عاصيًا، لأن من قاعدتهم: أن الكبيرة تخرج من الملة.

وخلافًا للرافضة الذين يقولون: إنه لا إمام إلا المعصوم، وأن الأمة الإسلامية منذ غاب من يزعمون أنه الإمام المنتظر، ليست علىٰ إمام، ولا تبعًا لإمام، بل هي تموت ميتة جاهلية من ذلك الوقت إلىٰ اليوم، ويقولون: إنه لا إمام إلا الإمام المعصوم، ولا حج ولا جهاد مع أي أمير كان، لأن الإمام لم يأت بعد.

لكن أهل السنة والجماعة يقولون: نحن نري إقامة الحج مع الأمراء سواء كانوا أبرارًا أو فجارًا، وكذلك إقامة الجهاد مع الأمير، ولو كان فساقًا، ويقيمون الجهاد مع أمير لا يصلي معهم الجماعة، بل يصلي في رحله.

فأهل السنة والجماعة لديهم بعد نظر؛ لأن المخالفات في هذه الأمور معصية لله ورسوله، وتجر إلىٰ فتن عظيمة.

فما الذي فتح باب الفتن والقتال بين المسلمين والاختلاف في الآراء إلا الخروج علىٰ الأئمة؟!

فيرىٰ أهل السنة والجماعة وجوب إقامة الحج والجهاد مع الأمراء، وإن كانوا فجارًا.

ولكن هذا لا يعني أن أهل السنة والجماعة لا يرون أن فعل الأمير منكر، بل يرون أنه منكر، وأن فعل الأمير للمنكر قد يكون أشد من فعل عامة الناس؛ لأن فعل الأمير للمنكر يلزم منه زيادة علىٰ إثمه محذوران عظيمان:

الأول: اقتداء الناس به وتهاونهم بهذا المنكر.

والثاني: أن الأمير إذا فعل المنكر سيقل في نفسه تغييره علىٰ الرعية، أو

تغيير مثله، أو مقاربة.

لكن أهل السنة والجماعة يقولون: حتىٰ مع هذا الأمر المستلزم لهذين المحذورين أو لغيرهما، فإنه يجب علينا طاعة ولاة الأمور، وإن كانوا عصاة، فنقيم معهم الحج والجهاد، وكذلك الجمع، نقيمها مع الأمراء، ولو كانوا فجارًا.

فالأمير إذا كان يشرب الخمر مثلًا، ويظلم الناس بأموالهم، نصلي خلفه الجمعة، وتصح الصلاة، حتىٰ إن أهل السنة والجماعة يرون صحة الجمعة خلف الأمير المبتدع إذا لم تصل بدعته إلىٰ الكفر؛ لأنهم يرون أن الاختلاف عليه في مثل هذه الأمور شر، ولكن لا يليق بالأمير الذي له إمامة الجمعة أن يفعل هذه المنكرات.

وكذلك أيضًا إقامة الأعياد مع الأمراء الذي يصلون بهم، أبرارًا كانوا أو فجارًا.

وبهذه الطريق الهادئة يتبين أن الدين الإسلامي وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

فقد يقول قائل: كيف نصلي خلف هؤلاء ونتابعهم في الحج والجهاد والجمع والأعياد؟!

فنقول: لأنهم أئمتنا، ندين لهم بالسمع والطاعة امتثالًا لأمر الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

ولأمر النبي ﷺ بقوله: «**إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها**». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم**». وحقهم: طاعتهم في غير معصية الله.

وعن وائل بن حجر، قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله -صلي الله عليه وعلىٰ آله وسلم-، فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ قال: «**اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**».

وفي حديث عبادة بن الصامت ﷺ، قال: بايعنا رسول الله -صلي الله عليه وعلي آله وسلم- علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله. قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**».

ولأننا لو تخلفنا عن متابعتهم، لشققنا عصا الطاعة الذين يترتب علىٰ شقه أمور عظيمة، ومصائب جسيمة.

والأمور التي فيها تأويل واختلاف بين العلماء إذا ارتكبها ولاة الأمور، لا يحل لنا منابذتهم ومخالفتهم، لكن يجب علينا مناصحتهم بقدر المستطاع فيما خالفوا فيه مما لا يسوغ فيه الاجتهاد، وأما ما يسوغ فيه الاجتهاد، فنبحث معهم فيه بحث تقدير واحترام لنبين لهم الحق، لا علىٰ سبيل الانتقاد لهم والانتصار للنفس، وأما منابذتهم وعدم طاعتهم، فليس من طريق أهل السنة والجماعة»[1].

---

(١) ذكر الإمام مسلم في صحيحه مجموعة من الأحاديث التي تدل علىٰ طاعة ولاة الأمور منها:

١- عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصىٰ الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني**».

٢- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**».

٣- عن أبي ذر قال: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا مجدع الأطراف.
=

٤- عن يحيىٰ بن حصين قال: سمعت جدتي تحدث أنها سمعت النبيﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول: «**لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا**».

٥- عن نافع عن ابن عمر عن النبيﷺ أنه قال: «**علىٰ المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

٦- عبادة عن أبيه عن جده قال: بايعنا رسول اللهﷺ علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلىٰ أثرة علينا وعلىٰ ألا ننازع الأمر أهله وعلىٰ أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

٧- عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «**إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقىٰ به، فإن أمر بتقوىٰ الله ﷻ وعدل كان له بذلك أجر وإن يأمر بغيره كان عليه منه**».

٨- عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبيﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر**» قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: «**فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

٩- عن زيد بن وهب عن عبد الله قال: قال رسول اللهﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها**» قالوا: يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم**».

١٠- عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه فقال كنا مع رسول اللهﷺ في سفر فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره، إذ نادىٰ منادي رسول اللهﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلىٰ رسول اللهﷺ فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضها، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه**

=

مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه؛ فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلىٰ الناس الي يحب أن يؤتىٰ إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

فدنوت منه فقلت: أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فأهوىٰ إلىٰ أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء:٢٩] قال: فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله.

١١- عن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير أن رجلًا من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا ؟ فقال: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتىٰ تلقوني علىٰ الحوض**».

١٢- قال حذيفة بن اليمان: قلت: يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**» قلت: هل من وراء ذلك الشر خير ؟ قال: «**نعم**» قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر ؟ قال: «**نعم**» قلت: كيف ؟ قال: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: «**تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**».

١٣- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلىٰ عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج علىٰ أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**».

١٤- عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلىٰ عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما

=

قال الإمام أحمد:

(وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله فله أن يقاتل عن نفسه وماله ويدفع عنها بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يتبع آثارهم، ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين[١] إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك وينوي بجهده ألا يقتل أحدًا.

فإن مات علىٰ يديه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله ولم يؤمر بقتله ولا اتباعه ولا يجيز عليه إن صرع أو كان جريحًا، وإن أخذه أسيرًا فليس له أن يقتله ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلىٰ من ولاه الله فحكم فيه).

قال الشيخ العثيمين في شرح الواسطية: وأول بدعة حدث في هذه الأمة هي بدعة

=

كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثًا سمعت رسول الله ﷺ يقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**.

(١) قال الشيخ صالح آل شيخ: هذا إذا قاتلوا، أما إذا لم يقاتلوا تتركهم، يقاتلهم الإمام؛ يعني عقوبتهم للإمام هو الذي يعاقبهم، أما مقاتلة الناس لهم إنما هو إذا قاتلوا، علي رضي الله عنه ما قاتلهم حتىٰ قاتلوه كانوا بالجيش، هم سبب حرب الجمل وصفين، هم سبب الخلاف بين علي ومعاوية، وهم الذين أوقدوا شرارات الحروب والفتن. راجع برنامج المكتبة الشاملة الإصدار الثاني باب جلسة خاصة.

الخوارج؛ لأن زعيمهم خرج علىٰ النبيﷺ وهو ذو الخويصرة من بني تميم، حين قسم النبيﷺ ذهبية جاءت فقسمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد اعدل.

فكان هذا أول خروج خرج به علىٰ الشريعة الإسلامية، ثم عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان، وفي الفتنة بين علي ومعاوية، فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم.

والذي يستقرأ النصوص التي جاء فيها ذكر الخوارج يخرج بعدة فوائد منها:

الفائدة الأولىٰ: خطورة الخروج علىٰ ولاة الأمور ومعارضتهم

الفائدة الثانية: أثر الجهل في الانحراف المنهجي؛ لأن الغالب في الخوارج الجهل؛ لذلك قال -عليه الصلاة والسلام- فيهم: «**يخرج في أخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم؛ فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم**» رواه ابن ماجه باب ذكر الخوارج.

الفائدة الثالثة: أن الانحراف يبدأ قليلًا ثم يكبر؛ لأن بداية مقالتهم أنهم قالوا إن الحكم إلا لله، وهي كلمة حق أريد بها باطل.

الفائدة الرابعة: خطورة الانحراف المنهجي في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا أمر النبيﷺ بقتلهم، وفي الآخرة متوعدون بالنار.

الفائدة الخامسة: خطورة الخروج عن فهم العلماء؛ فإن الخوارج خالفوا فهم الصحابة وعلماء التابعين فكان نتيجة مخالفتهم أنهم اصبحوا من أشر الطوائف علىٰ أمة الإسلام.

الفائدة السادسة: ضرورة الرجوع إلىٰ العلماء لإزالة الشبهات عند حدوث الفتن.

ويدل علىٰ ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من قصة يزيد الفقير لما أعجب برأي من رأي الخوارج، فكان من أسباب تعلق هذا الرأي شبه علقت به[1] فأزيلت هذه الشبه برجوعه إلىٰ علماء الصحابة رضي الله عنهم .

أسباب الوقوع في فكر الخوارج:

من أسباب الوقوع في فكر الخوارج وخصوصًا في هذا العصر:

١ - عدم طلب العلم من أهله وهم العلماء أو طلبة العلم الذين أخذوا منهم.

---

(١) عن أبي عاصم يعني محمد بن أبي أيوب قال: حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج علىٰ الناس، قال: فمررنا علىٰ المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلىٰ سارية عن رسول الله ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، قال: فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢] و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة:٢٠] فما هذا الذي تقولون؟

قال: فقال أتقرأ القرآن ؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج.

قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك قال غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس.

فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب علىٰ رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد أو كما قال أبو نعيم.

٢- التأثر بالشعارات الحماسية غير المنضبطة .

٣- الارتباط بالجماعات الحزبية.

٤- مخالطة دعاة الضلالة الذين غرروا بالشباب باسم إحياء الجهاد من جهة، وباسم الدعوة إلىٰ تحكيم الشرع من جهة أخرىٰ.

٥- انتشار بعض الكتب الداعية إلىٰ هذا الفكر بين أوساط الشباب مثل كتب سيد قطب ومن سار علىٰ نهجه.

آثار وجود هذا الفكر علىٰ الأمة:

١- قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان، كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن مسعود عن أبي سعيد ﷺ قال: بعث علي ﷺ إلىٰ النبي ﷺ بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب.

فغضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا! قال: «**إنما أتألفهم**».

فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فقال: اتق الله يا محمد! فقال: «**من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله علىٰ أهل الأرض فلا تأمنونني**». فسأل رجل قتله -أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه، فلما ولىٰ قال: «**إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٦٦) وأخرجه مسلم برقم (١٠٦٤).

٢- نسف وتدمير المنشآت الخدمية وغيرها بحجة أنها تعين علىٰ بقاء الحكام[١].

٣- نسف البيوت علىٰ رءوس أهلها من غير تفريق بين كبير وصغير وبين رجل وامرأة، وهذا في بلادنا مما لا يكاد تخلوا منه منطقة والله المستعان.

فكم فجع الناس بموت العشرات من العوائل بهذه الطريق وبحجة أن رب هذه العائلة عميل (جاسوس) للأعداء.

* * *

(١) **قال سيد قطب في كتاب لماذا أعدموني**: وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رءوس في مقدمتها رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ومدير مكتب المشير ومدير المخابرات ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها كمحطة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما سيجيء.

وقلت له: إن هذا إذا أمكن يكون كافيًا كضربة رادعة ورد علىٰ الاعتداء علىٰ الحركة وهو الاعتداء الذي يتمثل في الاعتقال والتعذيب والقتل والتشريد كما حدث من قبل ولكن ما هي الإمكانيات العملية عندكم للتنفيذ.

قال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ- معلقًا: ما أظن أن هذه العقلية المدمرة تستبعد شيئًا من هذه المدمرات فعلىٰ من يشفق هذا الرجل؟ ومن يرحم والمجتمعات كلها كافرة جاهلية والتعامل معها لا ينطلق من الإسلام الذي يفرق بين المحارب وغيره ويرفض قتل النساء والأطفال ولا يقاتل الكفار المعاندين إلا بعد الدعوة إلىٰ الله دون غدر أو خيانة هذا مع الكفار والمحاربين فكيف مع المسلمين الذين يكفرهم سيد قطب ويخطط لهذه الأعمال.

قال الإمام أحمد:

(ولا نشهد علىٰ أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف علىٰ المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله.

ومن لقي الله بذنب يجب له النار تائبًا غير مصرٍّ عليه فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، من لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ[1]، ومن لقيه مصرًّا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلىٰ الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ومن لقيه من كافر عذبه ولم يغفر له).

في هذا المقطع يبين الإمام -رحمه الله تعالىٰ- أن الذنوب علىٰ قسمين: منها يدخل تحت المشيئة وهي ما عدا الشرك والكفر، ومنها لا يغفرها الله تعالىٰ وهي الشرك والكفر بالله تعالىٰ إلا أن يتوب صاحبها.

وأن العبد إذا تاب تاب الله عليه، والله -جل وعلا- يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ

---

(١) أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني علىٰ ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفىٰ منكم فأجره علىٰ الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلىٰ الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**» فبايعناه علىٰ ذلك. أخرج البخاري رقم ٣٦٧٩، باب علامة الإيمان حب الأنصار، وأخرجه مسلم في الحدود باب الحدود كفارات لأهلها رقم ١٧٠٩.

ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الشورىٰ:٢٥].

* * *

قال الإمام أحمد:

(والرجم حق علىٰ من زنا وقد أحصن إذا اعترف أو قامت عليه بينته، وقد رجم رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون).

هنا ذكر الإمام أحمد مسألة الرجم، وهنا عدة فوائد منها:

١- الرجم ثابت بالكتاب والسنة، وهو أيضًا ثابت في التوراة والإنجيل.

قال الشيخ ربيع -حفظه الله- في شرح أصول السنة (ص٦٧): وهذا حكم الله في التوراة والإنجيل والقرآن.

٢- آية الرجم من الآيات التي نسخت تلاوة وبقيت حكمًا[١].

٣- أدخل بعض أئمة السلف بعض المسائل الفقهية في كتب الاعتقاد، وذلك لأن بعض الطوائف أنكرتها مثل المسح علىٰ الخفين وحدوث النسخ في القرآن أو السنة.

٤- الرجم لا يكون إلا بالاعتراف كما في قصة ماعز[٢] والغامدية والحبل

---

(١) أخرجه البخاري باب رجم الحبلىٰ في الزنا إذا أحصنت رقم ٦٤٤٢، وأخرجه مسلم برقم ١٦٩١ باب التحريم بخمس رضعات عن عبد الله بن عباس يقول: قال عمر بن الخطاب وهو جالس علىٰ منبر رسول الله ﷺ: إن الله قد بعث محمدًا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق علىٰ من زنىٰ إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٦٧٤٩ تحت باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو =

أو أربعة شهود .

* * *

=

قبل ذلك للخصم، وأخرجه مسلم برقم (١٦٩٤) عن أبي نضرة عن أبي سعيد واللفظ لمسلم: أن رجلًا من أسلم يقال له ماعز بن مالك أتىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني أصبت فاحشة فأقمه علي فرده النبي ﷺ مرارًا قال: ثم سأل قومه فقالوا: ما نعلم به بأسًا إلا أنه أصاب شيئًا يرىٰ أنه لا يخرجه منه إلا أن يقام فيه الحد، قال فرجع إلىٰ النبي ﷺ فأمرنا أن نرجمه.

قال: فانطلقنا به إلىٰ بقيع الغرقد قال فما أوثقناه ولا حفرنا له قال فرميناه بالعظم والمدر والخزف قال فاشتد واشتددنا خلفه حتىٰ أتىٰ عرض الحرة فانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحرة (يعني الحجارة) حتىٰ سكت، قال: ثم قام رسول الله ﷺ خطيبًا من العشي فقال: «**أو كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله تخلف رجل في عيالنا له نبيب كنبيب التيس علىٰ ألا أوتىٰ برجل فعل ذلك إلا نكلت به**» قال: فاستغفر له ولا سبه.

قال الإمام أحمد:

(ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو بغضه بحدث منه أو ذكر مساويه كان مبتدعًا حتىٰ يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا)[1].

قال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ- في شرح أصول السنة: هذا من أصول أهل السنة والجماعة، أنه لا يجوز انتقاص أحد من أصحاب محمد ﷺ ولا ذكر مساوئهم.

وقال أيضًا: ولو حصل ولو ثبت أن هذا الصحابي وقع في خطأ لا تذكره ولا تنتقصه بهذا الحدث، بل قل هذا مجتهد، هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنه ما حصل من خلاف بين الصحابة فهم مجتهدون، وكثير مما نسب إليهم كذب، كثير مما نسب إليهم حرف وغير وبدل وزيد فيه ونقص كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

* * *

---

(١) ولقد وردت عدة أحاديث في اتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم منها شعبة عن الأعمش قال: سمعت ذكوان يحدث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» أخرجه البخاري رقم ٣٤٧٠، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم رقم ٢٥٤٠.

وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ-:

(والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وقوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه...» فهو منافق علىٰ التغليظ نرويها كما جاءت ولا نقيسها.

وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض».

ومثل: «إذا التقىٰ المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار».

ومثل: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

ومثل: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».

ومثل كفر بالله تبرؤ من نسب وإن دق، ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحفظ، فإنا نسلم له وإن لم نعلم تفسيرها ولا نتكلم فيها ولا نجادل فيها ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت لا نردها إلا بأحق منها).

ذكر الإمام أحمد بعض الأحاديث التي فيها إطلاق الكفر والنفاق والفسوق علىٰ بعض الذنوب.

ولأهل السنة تفصيل في إطلاق هذه الألفاظ وضوابط لابد معرفتها:

١- أهل السنة يفرقون بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر وبين النفاق العملي والنفاق الأكبر وبين الفسق الذي هو بمعنىٰ الكفر وبين الفسق الذي بمعنىٰ المعصية.

٢- أهل السنة يفرقون بين الأوصاف والأعيان؛ فتطلق الأحكام علىٰ الأوصاف لكن عند إطلاقها علىٰ الأعيان لابد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع.

٣- التفريق بين الإطلاق والتعين في إطلاق الحكم.

٤- إطلاق أحكام الكفر لابد له من عالم ينزل هذا الحكم على الأعيان.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَثِيرًا مَا تَعرِضُ لِلمُؤمِنِ شُعبَةٌ مِن شُعَبِ النِّفَاقِ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَيهِ؛ وَقَد يَرِدُ عَلَىٰ قَلبِهِ بَعضُ مَا يُوجِبُ النِّفَاقَ وَيَدفَعُهُ اللهُ عَنهُ.

وَالمُؤمِنُ يُبتَلَىٰ بِوَسَاوِسِ الشَّيطَانِ وَبِوَسَاوِسِ الكُفرِ الَّتِي يَضِيقُ بِهَا صَدرُهُ كَمَا قَالَت الصَّحَابَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ فِي نَفسِهِ مَا لَئِن يَخِرَّ مِن السَّمَاءِ إلَىٰ الأَرضِ أَحَبُّ إلَيهِ مِن أَن يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: «**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: مَا يَتَعَاظَمُ أَن يَتَكَلَّمَ بِهِ. قَالَ: «**الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيدَهُ إلَىٰ الوَسوَسَةِ**».

أَي حُصُولِ هَذَا الوَسوَاسِ مَعَ هَذِهِ الكَرَاهَةِ العَظِيمَةِ لَهُ وَدَفعِهِ عَن القَلبِ هُوَ مِن صَرِيحِ الإِيمَانِ؛ كَالمُجَاهِدِ الَّذِي جَاءَهُ العَدُوُّ فَدَافَعَهُ حَتَّىٰ غَلَبَهُ؛ فَهَذَا أَعظَمُ الجِهَادِ والصَّرِيحُ الخَالِصُ كَاللَّبَنِ الصَّرِيحِ، وَإِنَّمَا صَارَ صَرِيحًا لَمَّا كَرِهُوا تِلكَ الوَسَاوِسَ الشَّيطَانِيَّةَ وَدَفَعُوهَا فَخَلَصَ الإِيمَانُ فَصَارَ صَرِيحًا.

وَلَابُدَّ لِعَامَّةِ الخَلقِ مِن هَذِهِ الوَسَاوِسِ؛ فَمِن النَّاسِ مَن يُجِيبُهَا فَيَصِيرُ كَافِرًا أَو مُنَافِقًا، وَمِنهُم مَن قَد غَمَرَ قَلبَهُ الشَّهَوَاتُ وَالذُّنُوبُ فَلَا يُحِسُّ بِهَا إلَّا إذَا طَلَبَ الدِّينَ فَإِمَّا أَن يَصِيرَ مُؤمِنًا وَإِمَّا أَن يَصِيرَ مُنَافِقًا.

وَلِهَذَا يَعرِضُ لِلنَّاسِ مِن الوَسَاوِسِ فِي الصَّلَاةِ مَا لَا يَعرِضُ لَهُم إذَا لَم يُصَلُّوا لِأَنَّ الشَّيطَانَ يَكثُرُ تَعَرُّضُهُ لِلعَبدِ إذَا أَرَادَ الإِنَابَةَ إلَىٰ رَبِّهِ وَالتَّقَرُّبَ إلَيهِ وَالِاتِّصَالَ بِهِ؛ فَلِهَذَا يَعرِضُ لِلمُصَلِّينَ مَا لَا يَعرِضُ لِغَيرِهِم وَيَعرِضُ لِخَاصَّةِ أَهلِ العِلمِ وَالدِّينِ أَكثَرَ مِمَّا يَعرِضُ لِلعَامَّةِ.

وَلِهَذَا يُوجَدُ عِندَ طُلَّابِ العِلمِ وَالعِبَادَةِ مِن الوَسَاوِسِ وَالشُّبُهَاتِ مَا لَيسَ

عِندَ غَيرِهِم لِأَنَّهُ لَم يَسلُك شَرعَ اللهِ وَمِنهَاجَهُ، بَل هُوَ مُقبِلٌ عَلَىٰ هَوَاهُ فِي غَفلَةٍ عَن ذِكرِ رَبِّهِ، وَهَذَا مَطلُوبُ الشَّيطَانِ، بِخِلَافِ المُتَوَجِّهِينَ إِلَىٰ رَبِّهِم بِالعِلمِ وَالعِبَادَةِ. انظر مجموع الفتاوىٰ (ج٧ص٢٨٢).

قال الإمام النووي في شرح صحح مسلم عند شرحه لحديث عمرو رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» متفق عليه.

(**أربع من كن فيه**) الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه إن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر.

(**كان منافقًا خالصًا**) معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال.

(**وإذا خاصم فجر**) أي مال عن الحق وقال الباطل والكذب.

قال أهل اللغة: وأصل الفجور الميل عن القصد.

أنواع النفاق:

النفاق الاعتقادي: الذي يناقض أصل الإيمان ويكون صاحبه كافرًا.

النفاق العملي: الذي لا يكفر صاحبه الكفر الأكبر .

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: النفاق هو إخفاء الشر وإظهار الخير، وهو علىٰ نوعين: نفاق اعتقادي ونفاق عملي:

النفاق الاعتقادي: والعياذ بالله هو إخفاء الكفر وإظهار الإيمان، كحال المنافقين الذين نزل فيهم القرآن وفضحهم الله ﷻ، وأخبر أنهم في الدرك

الأسفل من النار تحت عبدة الأوثان، هؤلاء كفار وكفرهم أشد من كفر من لم يتظاهر بالإسلام؛ لأن الكفار على قسمين: كافر متظاهر بكفره وعداوته للمسلمين، وكافر في الباطن ولكنه في الظاهر يخادع المسلمين ويظهر أنه منهم، وهذا هو المنافق وهذا نفاق اعتقادي صاحبه كافر مخلد في النار، وعذابه أشد من عذاب عبدة الأصنام والعياذ بالله.

والنوع الثاني: نفاق عملي: وهذا يصدر من بعض المؤمنين بأن يفعل فعلًا من صفات المنافقين، كالكذب في الحديث كما ورد في قوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» رواه الإمام البخاري في صحيحه (١/ ١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذه صفات من صفات المنافقين يصدر بعضها من ضعاف الإيمان، لكن صاحبها لا يخرج عن الملة، فهو مؤمن لكن فيه خصلة من خصال المنافقين تنقص إيمانه وعليه وعيد شديد في ارتكاب هذا الشيء لكنه لا يخرج بهذا من دائرة الإيمان، هذا ما يسمى بالنفاق العملي. انظر المنتقى من فتاوى الفوزان (ج٢ ص٢١٧).

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالى-: فلا تأمن الشرك، ولا تأمن النفاق؛ إذ لا يأمن النفاق إلا منافق، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن، ولهذا قال ابن أبي ملكية: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه .

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاف على نفسه النفاق؛ فقال لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنشدك الله هل سماني لك رسول الله ﷺ مع من سمى من المنافقين؟ فقال حذيفة رضي الله عنه: لا، ولا أزكي بعدك أحدًا، أراد عمر بذلك زيادة الطمأنينة، وإلا

فقد شهد له النبي ﷺ بالجنة[١].

الفائدة الثانية: فيما يتعلق بضوابط التكفير:

يقول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣١): والتكفير من الوعيد فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول -عليه الصلاة والسلام- لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطأ.

فلابد لكل مسلم أو طالب علم أن يكون عنده علم بنواقض الإسلام وموانع التكفير حتى يكون على الصراط المستقيم بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة.

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منهاج السنة (٥/ ٢٣٩): إن المتأول الذي قصده متابعة الرسول ﷺ لا يكفر.

ولهذا فرق شيخ الإسلام بين مقالة الجهمية وهي كفر وبين قائلها؛ فلا يلزم أن يكون قائل الكفر كافرًا.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم كنت كافرًا؛ لأني اعلم أن قولكم كفر وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال.

وكذلك يقول: إني دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه

---

(١) انظر القول المفيد في شرح كتاب التوحيد.

الحجة الرسالية . ذكره شيخ الإسلام في كتاب الرد علىٰ البكري (١٢/ ٥٠٠).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن تسليط الجهال علىٰ تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذه من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلين لما يعتقدون فيه من الدين. ذكره شيخ الإسلام في المجموع (٣٥/ ١٠٠).

وقال شيخ الإسلام: فليس كل مخطئ كافر لاسيما في المسائل الدقيقة التي كثر فيها نزاع الأمة.

وقال: وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وان اخطأ وان غلط حتىٰ: تقام عليه الحجة. تبين له المحجة.

ومن ثبت إسلامه بيقين لا يزول عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.

وقال: إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، وإن التكفير المطلق لا يعني تكفير المعين إلا إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع.

وقال: فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم علىٰ أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب فيها أنها كفر، وهكذا الكلام في جميع المعين. انظر كلام شيخ الإسلام في المجموع (١٦/ ٤٣٤) (١٢/ ٤٦٦).

قال الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في كتاب الولاء والبراء: الكفر حكم شرعي مرده إلىٰ الله ورسوله، فما دل الكتاب والسنة علىٰ أنه كفر فهو كفر، وما دل الكتاب والسنة علىٰ أنه ليس بكفر فليس بكفر، فليس علىٰ أحد بل ولا له

أن يكفر أحدًا حتىٰ يقوم الدليل من الكتاب والسنة علىٰ كفره.

وإذا كان من المعلوم أنه لا يملك أحد أن يحلل ما حرم الله، أو يحرم ما أحل الله، أو يوجب ما لم يوجبه الله تعالىٰ إما في الكتاب أو السنة، فلا يملك أحد أن يكفر من لم يكفره الله إما في الكتاب وإما في السنة.

ولابد في التكفير من شروط أربعة:

الأول: ثبوت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضىٰ دلالة الكتاب أو السنة.

الثاني: ثبوت قيامه بالمكلف.

الثالث: بلوغ الحجة.

الرابع: انتفاء مانع التكفير في حقه.

فإذا لم يثبت أن هذا القول، أو الفعل، أو الترك كفر بمقتضىٰ دلالة الكتاب والسنة، فإنه لا يحل لأحد أن يحكم بأنه كفر، لأن ذلك من القول علىٰ الله بلا علم وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

وإذا لم يثبت قيامه بالمكلف فإنه لا يحل أن يرمىٰ به بمجرد الظن لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية؛ ولأنه يؤدي إلىٰ استحلال دم المعصوم بلا حق.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أيما**

امرئ قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما؛ إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»، هذا لفظ مسلم.

وعن أبي ذرٍ ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**» أخرجه البخاري ولمسلم معناه.

وإذا لم تبلغه الحجة فإنه لا يحكم بكفره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ .

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة** -يعني أمة الدعوة- **يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**».

كن إن كان مَن لم تبلغه الحجة لا يدين بدين الإسلام، فإنه لا يعامل في الدنيا معاملة المسلم، وأما في الآخرة فأصح الأقوال فيه أن أمره إلىٰ الله تعالىٰ.

وإذا تمت هذه الشروط الثلاثة أعني ثبوت أن هذا القول، أو الفعل أو الترك كفر بمقتضىٰ دلالة الكتاب والسنة، وأنه قام بالمكلف، وأن المكلف قد بلغته

الحجة ولكن وجد مانع التكفير في حقه فإنه لا يكفر لوجود المانع.

فمن موانع التكفير: الإكراه، فإذا أُكره علىٰ الكفر فكفر وكان قلبه مطمئنًّا بالإيمان لم يحكم بكفره، لوجود المانع وهو الإكراه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

ومن موانع التكفير: أن يغلق علىٰ المرء قصده فلا يدري ما يقول لشدة فرح، أو حزن، أو خوف، أو غير ذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان علىٰ راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتىٰ شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ خطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**».

فهذا الرجل أخطأ من شدة الفرح خطأ يخرج به عن الإسلام لكن منع من خروجه منه أنه أغلق عليه قصده فلم يدر مايقول من شدة الفرح، فقد قصد الثناء علىٰ ربه لكنه من شدة الفرح أتىٰ بكلمة لو قصدها لكفر.

فالواجب الحذر من إطلاق الكفر علىٰ طائفة أو شخص معين حتىٰ يعلم تحقق شروط التكفير في حقه وانتفاء موانعه[1].

---

(١) نقلًا من برنامج المكتبة الشاملة فليراجع.

قال الإمام أحمد:

(والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله ﷺ دخلت الجنة فرأيت[١] قصرًا ورأيت الكوثر، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت كذا[٢] وكذا؛ فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار).

الفائدة الأولىٰ:

قال الشيخ صالح السحيمي: هذه المسألة تتضمن أمرين:

الأمر الأول: هل الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن؟

والأمر الثاني: هل هما تفنيان؟

والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأن الله -تبارك وتعالىٰ- يزيد فيهما بما يشاء وفقًا لعمل العاملين وطاعة الطائعين، ومعصية العاصين.

وكذلك في المسألة الثانية: فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة أنهما

---

(١) إشارة إلىٰ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة أو أوتيت الجنة فأبصرت قصرًا فقلت لمن هذا ؟ قالوا: لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك**». قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله بأبي أنت وأمي يا نبي الله أوعليك أغار؟ أخرجه البخاري برقم ٤٩٢٨ باب الغيرة.

(٢) إشارة إلىٰ حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» أخرجه البخاري برقم ٣٠٦٩ باب صفة الجنة وأنها مخلوقة.

لا تفنيان، وأنهما تبقيان إلىٰ الأبد بلا نهاية، قد كتب الله لهما البقاء.

وخالف في هذا الأمر -أعني: القول بوجود الجنة ووجود النار، وكذا القول ببقائهما- خالف فيه المعتزلة والجهمية، وطوائف أخرىٰ من أهل البدع والضلال، فزعمت المعتزلة والجهمية بأن الجنة والنار لم توجدا بعد ولم تخلقا بعدُ، وشبهتهم في ذلك أنهم يقولون: لو قلنا بوجودهما الآن للزم فناؤهما قبل يوم القيامة، لأن الله -تبارك وتعالىٰ- يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

وقالوا: قد دل العقل علىٰ أن كلَّ شيء أوجده الله لابد له من الفناء قبل يوم القيامة، ومادام الأمر كذلك فالجنة والنار لم تخلقا بعد؛ لأن الله تعالىٰ لم يخلقهما عبثًا، لأن خلقهما قبل يوم القيامة يعد عبثًا، تعالىٰ الله عما يقول المؤولون والمحرفون علوًّا كبيرًا.

وقد رد أهل السنة علىٰ هذه النحلة الفاسدة، وقالوا: إن المراد بقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]. أي: ما كتب الله عليه الفناء فهو يفنىٰ بدليل أن الأرواح لا تفنىٰ؛ بل إنها تبقىٰ، والتي تفنىٰ إنما هي ماذا؟ الأجساد، والأرواح تبقىٰ، وإنما تنتقل من حياة دنيوية إلىٰ حياة برزخية بغض النظر عن الخلاف في مستقر الأرواح أين هو؟ إذن الذي يفنىٰ كما دلت الآيات ويهلك هو ما كتب الله عليه الهلاك والفناء.

وأما ما قدر الله بقاءه فإنه يبقىٰ ولا يدخل في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وإنما كل من عليها فان إلا من؟ ما كتب الله له ماذا؟ البقاء، وقد كتب الله تعالىٰ

البقاء للجنة والنار؛ فتبين بذلك فساد شبهتهم.

وأما أدلة أهل السنة علىٰ وجود الجنة والنار الآن فهي كثيرة، منها: قوله تعالىٰ في وصف النار: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢١-٢٣]. إلىٰ آخر الآيات.

وما شاهده النبي ﷺ من مشاهد بعض أهل النار ليلة أيش؟ ليلة الإسراء والمعراج، إذن وما جاء في الأحاديث من ثبوت عذاب القبر كما مر بنا بالأمس، وما جاء من أحاديث تدل علىٰ دخول فرعون وقومه النار من نصوص في القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦].

وما جاء في نحو قوله ﷺ: «**دخلت النار امرأة في هرة** -والهرة هي القطة- **حبستها حتىٰ ماتت فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

وكذلك بالنسبة للجنة، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

---

(١) أخرج البخاري في الصحيح باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة في هرة سجنتها حتىٰ ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**» وأخرجه مسلم باب تحريم قتل الهرة.

وقوله تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣][(١)].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وما شاهده النبيﷺ في الجنة ليلة أسري به وعرج به إلىٰ السماء.

وقولهﷺ فيما يرويه عن ربه -جل وعلا-: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»[(٢)].

وقولهﷺ فيما حكاه عن إبراهيم عليه السلام ليلة أسري به أيضًا فقال: «**يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة قيعان، وأنها طيبة التربة، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[(٣)].

---

(١) الشريط الرابع من أشرطة شرح السنة للبربهاري ضمن تسجيلات المكتبة الصوتية المسجد النبوي.

(٢) أخرجه البخاري باب صفة الجنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ: «**قال الله تعالىٰ أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر**» فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾، وأخرجه مسلم باب الجنة وصفة نعيمها.

(٣) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٦٥): أخرجه الترمذي (٢/ ٢٥٨ - بولاق).

إذن نقول: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، إذا دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية علىٰ وجود الجنة والنار إذن لا نعبأ بشبه المعتزلة والجهمية ودعاواهم أنها لو خُلقت الآن لعُدَّ خلقها عبثًا ونحو ذلك.

فإنَّ الله تعالىٰ يفعل ما يشاء ويختار، ولا يمكن أن يخلق شيئًا عبثًا، وإذا ضعفت عقولنا عن إدراك أمر دلت النصوص علىٰ تحقيقه فعلينا أن نتهم ماذا؟ عقولنا، ولا نتهم النصوص أو نؤولها أو نحرفها علىٰ غير مراد الله ﷻ؛ لأن تحريف النصوص من سمات اليهود والنصارىٰ الذين يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه، ويقولون علىٰ الله بغير علم؛ فتقرر بهذا أن الجنة والنار موجودتان مخلوقتان الآن، والأدلة قائمة علىٰ ذلك بنصوص القرآن والسنة.

ننتقل الآن إلىٰ المسألة الثانية، وهي مسألة فناء الجنة والنار، وقد قال بذلك الجهمية والمعتزلة أيضًا، وقد تشبثوا بالنصوص نفسها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]. بزعم أن المخلوق له بداية ولابد أن تكون له نهاية، وفات هؤلاء المساكين فهم النصوص التي تدل علىٰ بقاء الجنة والنار بلا انتهاء كما دلت علىٰ ذلك النصوص الصحيحة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٥].

وجاء في الحديث: أنه يؤتىٰ بالموت علىٰ هيئة كبش فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت[1].

(١) متفق عليه.

وجاء في الجنة: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٢١].

وجاء في النار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨]؛ أي: سرمدي لا ينتهي.

وجاء في الجنة: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٢١].

وجاء في النار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨]. أي: سرمدي لا ينتهي.

فهذا هو مذهب أهل السنة، وقد كثرت الأقوال في مسألة فناء النار خاصة، وأما فناء الجنة فما هناك إلا قول أهل السنة وقول المعتزلة، قول أهل السنة في بقائها وقول المعتزلة بفنائها ولو بعد دهور طويلة.

وأما الكلام في النار وفنائها: ففيها أقوال ستة أو تزيد:

منها[1]: أنها تفنىٰ ويفنىٰ معها أهلها، وهو قول عامة المعتزلة.

ومنها: أنهم يتجمدون فيها فيصبحون جمادًا لا يحسون، وهذا قول أبي الحسن البصري أيضًا من المعتزلة.

---

(١) انظر كتاب رفع الأستار للصنعاني تحقيق العلامة الألباني، وانظر حادي الأرواح لابن القيم لمعرفة أقوال العلماء في هذه المسألة الكبيرة، وانظر كذلك شرح الطحاوية للشيخ صالح آل شيخ.

ومنها: أنها تتحول طبيعتهم إلىٰ طبيعة نارية بحيث يستمرئونها فلم يعودوا يتألمون منها؛ بل يزعم أبو الهذيل العلاف أنهم يتلذذون بها، والعياذ بالله لأنها تنقلب طباعهم إلىٰ جهنميين كما يقول هؤلاء المنحرفون.

ومنها: أنها تفنىٰ بعد حين طويل وبعد أحقاب طويلة، ويستدلون بآثار لا يصح منها شيء، منها أثر عن عمر أنها لو بلغت عدد رمل عالج فإنه لابد أن تنتهي، وهذا لا يصح.

ومنها: القول بفناء نار الموحدين، وبقاء نار المشركين، وهذا قال به بعض أهل السنة أن التي تفنىٰ هي نار الموحدين، لأنهم لا يخلدون في النار؛ بل يخرجون بعد تمحيص، وبقاؤها علىٰ حد قول بعضهم عبث لا يصدر عن الله تعالىٰ.

والقول الصحيح والقول الحق: هو أنهما لا تفنيان لا الجنة ولا النار كما قررنا، وأن من زعم خلاف ذلك فقد أعظم علىٰ الله الفرية.

بقيت مشكلة قد يتشبث بها البعض وهي ما جاء في سورة هود: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٦-١٠٨]. أي: غير مقطوع.

إذن فما حل هذا الإشكال، وقد يتشبث به القائلون بفناء الجنة والنار؟!

وهذا وجه بعدة توجيهات ذكرها المفسرون، سوف أذكر بعضًا منها مع بيان القول الراجح -إن شاء الله-.

قول يقول: إن المراد بقوله: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: قبل يوم

القيامة أو قبل الموت، فإنه تمر بهم فترات لا هم في الجنة ولا هم في النار، ومنها الحياة الدنيا يعني: هذا القول يقول أن المقصود مدة مكثهم قبل الموت فهذا المستثنىٰ إلا ما شاء الله ويعود إلىٰ الزمن المتقدم.

وقال آخرون: أي مدة عبورهم الصراط بالنسبة للمؤمنين إلا ما شاء ربك، أي: أثناء عبورهم الصراط وفي عرصات القيامة.

ومنها: أن الاستثناء خاص بعصاة الموحدين بالنسبة للنار، وكذلك بالنسبة للجنة أي مدة بقائهم في النار الوقت الذي يمحصون فيه.

وآخرها وأرجحها وهناك أقوال أخرىٰ: أن هذا ليس دليلًا علىٰ الفناء وليس تعليقًا بالمشيئة علىٰ سبيل أنهما تفنيان؛ وإنما المقصود وبيان أنهم لا يخرج شيء عن ماذا؟ عن مشيئة الله، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

والله -تبارك وتعالىٰ- هو الذي أكد لهم بقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ وقد شاء ومع هذا علق بماذا؟ بالمشيئة لبيان أنه لا يخرج شيء عن ماذا؟ عن مشيئة الله، فيكون هذا الاستثناء غير مراد، وإنما المقصود بيان أنه لا يخرج شيء أبد الآباد عن مشيئة الله -تبارك وتعالىٰ-.

بهذا يمكن إزالة هذا الإشكال الذي قد يردده بعض المرجفين وبعض الذين لا يرجعون إلىٰ منهج السلف في استنباطاتهم وفي أقوالهم وفي أفعالهم، والله أعلم[1].

---

(١) سؤال: يسأل الأخ عن بالنسبة لشيخ الإسلام ابن القيم هل صح عنه أنه قال بفناء النار؟

الجواب: طبعًا فناء الجنة ما قال بها أحد من السلف، ولكن هل صح عنه أنه قال بفناء =

الفائدة الثانية: ما هي الجنة التي أخرج منه آدم عليه السلام؟

سئل الشيخ العثيمين -رحمه الله تعالىٰ- ما الجنة التي أسكنها الله عز وجل آدم وزوجه؟

فأجاب بقوله: الصواب أن الجنة التي أسكنها الله تعالىٰ آدم وزوجه هي الجنة التي وعد المتقون؛ لأن الله تعالىٰ يقول لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ والجنة عند الإطلاق هي جنة الخلد التي في السماء.

ولهذا ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أن آدم وموسىٰ تحاجا فقال له موسىٰ: لم أخرجتنا ونفسك من الجنة؟، والله أعلم[1].

* * *

=

النار؟ هناك من فهم هذا من تعداده للأقوال في كتابه: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، والحقيقة أنه ليس فيها ما يدل علىٰ أنه يقول بذلك، وإنما غاية ما هنالك أنه حكىٰ ماذا؟حكىٰ الأقوال الواردة في هذا، يؤيد ذلك أنه قد قرر في الوابل الصيب، عدم القول بماذا؟ بفناء النار، فهذا القول قال به بعض الناس فهمًا منهم خاص.

والحق أن الشيخ لم يقل بفناء النار، ولم يجزم به، وإنما ذكر الأقوال، ولعل سكوته عن بعضها أو اختتماه ببعضها قد أوهم بعض من قال بأنه يقول بفناء ماذا؟ بفناء النار، وعلىٰ فرض القول بذلك، فإنه يكون مع من قال بفناء نار من؟ بفناء نار الموحدين الذين يخرجون بعد تمحيص، ولكن في الحقيقة أنه قد جل ذلك تجلية واضحة في كتاب ماذا؟ الوابل الصيب، فارجعوا إليه والله الموفق.

(١) انظر مجموع فتاوىٰ ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين المجلد الأول اليوم الآخر.

قال الإمام أحمد:

(ومن مات من أهل القبلة موحدًا يصلىٰ عليه ويستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا أمره إلىٰ الله تعالىٰ).

إن من عقائد أهل السنة: الصلاة علىٰ أهل المعاصي من أهل القبلة، وللإمام أن يترك الصلاة علىٰ بعض أهل المعاصي من باب الزجر لأهل المعاصي، حتىٰ أهل االبدع يصلىٰ عليهم.

قال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ-: والعاصي والمبتدع ماداما في دائرة الإسلام فإننا نصلي عليه، لكن للإمام وللعالم ألا يصلي عليه عقوبة له وليرتدع الناس عن معصيته إن كان عاصيًا وعن بدعته إن كان مبتدعًا، لكن لا نمنع الناس أن يصلوا عليه بل نقول لهم صلُّو عليه[1].

* * *

---

(١) راجع كتاب شرح السنة للشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ- (ص٧٣).

الخاتمة

نصيحة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ- إلىٰ طلبة العلم:

أوصي نفسي وإياكم بتقوىٰ الله والإخلاص له والجد في تحصيل العلم، والتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومنهج السلف الصالح.

وأنا أنصحكم بحفظ هذا الكتاب العظيم الصغير الحجم الكبير القدر، أوصيكم بحفظه وتفهّمه، ومنه تنطلقون إلىٰ ما هو أوسع منه من كتب العقائد التي دونها أسلافنا -رحمهم الله تبارك وتعالىٰ-، لعلمهم بمكانة العقيدة، ومكانة هذه الأصول العظيمة.

وقد تقدم عن أحمد أن من أخل بأصل من هذه الأصول فهو ليس من أهل السنة؛ فيمكن أن تجعلوا هذه الأصول مقياسًا للفارق بين السني الصحيح وبين المبتدع، ولو حسب نفسه وأدخل نفسه في أهل السنة، فإن بهذه الأصول يغُربل ويفرق بين أهل السنة والجماعة، وتعرفون أن من أصولهم: الولاء والبراء، ومن أصولهم: بغض أهل البدع والتحذير منهم، وحكىٰ عدد عظيم من أئمة الإسلام هذا الأصل وقرروه.

فنسأل الله أن يثبتنا وإياكم علىٰ دينه وهديه وعلىٰ سنة نبيِّه، وعلىٰ الالتزام

بهذه الأصول التي أوردها هذا الإمام في هذه الرسالة الصغيرة الحجم الكبيرة القدر، وفقنا الله لما يحب ويرضىٰ وثبتنا علىٰ السنة والهدىٰ، إن ربنا لسميع الدعاء ونستودع الله دينكم وأماناتكم[1].

(١) هذه الكلمات اختتم بها الشيخ -حفظه الله تعالىٰ- شرح السنة للإمام أحمد.

الفهرس

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
أهم الأمور التي تضمنتها هذه الدروس ٧
ملخص رسالة أصول السنة ٩
بعض مناقب الإمام أحمد ١٢

بداية الشرح:

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (أصول السنة عندنا) ١٩
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم). ٢٣
معنىٰ الجماعة ٢٣
تلازم العقيدة والمنهج ٢٧
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين). ٣٢
معنىٰ البدعة اصطلاحًا ٣٢

أقسام البدع ٣٣
حكم البدع في الدين..... ٣٤
أسباب البدع ٣٤
خطورة البدع ٣٤
كشف شبهات مَن حسَّن البدع..... ٣٦
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وترك الخصومات والجلوس
مع أصحاب الأهواء): ٤٢
معنىٰ وحكم المجادلة وأنواعها ٤٣
المجادلة بالتي هي أحسن من مراتب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ. ٤٤
يستحب لطالب العلم أن يمرن نفسه علىٰ كيفية إقناع المدعو بالحجج
والبراهين، وكيفية الاستدلال واستحضار الدليل المناسب علىٰ المسألة
المتنازع عليها..... ٤٤
المقصود بالمماراة المنهي عنها في الحديث ٤٤
لماذا حذر علماء السلف عن مناظرة أهل الأهواء؟ ٤٥
انتشر في الآونة الأخيرة المجادلات والمناظرات العلنية بين من يدعي
السلفية وبين الطوائف الأخرىٰ، وهذه المناظرات العلنية أمام الناس فيها
من الشر الشيء الكثير منه ٤٦
موقف السلف من أهل البدع ٤٧
سئل الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: ما هو القول الحق في قراءة كتب

المبتدعة وسماع أشرطتهم ؟ ٤٩
تحريم مجالسة أهل البدع والأهواء والدراسة عندهم ٥٠
حكم قراءة كتب أهل الأهواء ٥١
منهج أهل السنة والجماعة في ضبط مسائل الخلاف ٥٢
أهل السنة والجماعة يفرقون بين المسائل الخلافية التي ينكر على المخطأ فيها، وبين المسائل الاجتهادية التي ليس فيها نص صريح ولا إجماع ٥٣
المناهج التي خالفت أهل السنة في باب التعامل مع المخالف تنقسم من حيث الجملة إلى عدة أقسام منها:..... ٥٤
منهج الموازنات (هامش)..... ٥٦
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن....) ٥٨
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها...) ٦٢
تعريف القدرية..... ٦٧
أول من أظهر القدر..... ٦٨
لا يجوز الاعتماد على القضاء السابق وترك العمل..... ٦٨
درجات الإيمان بالقدر ٦٩
الفرق بين القضاء والقدر ٦٩

الفرق بين القضاء والمقضي ٧٠
فوائد الإيمان بالقضاء والقدر ٧١
مراتب القدر ٧١
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفِيَ ذلك وأُحكِمَ له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق....) ٧٤
هل الدعاء يرد القضاء؟ ٨٠
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وألا يخاصم أحدًا ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه....) ٨٢
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه...) ٨٣
السكوت في زمن الفتن علىٰ نوعين ٨٤
المقصود بالواقفة ٨٨
انقسم الناس في مسألة الكلام إلىٰ أقسام كثيرة ٨٨
لا يجوز إطلاق أن القران قديم؛ لأن هذا موافق لعقيدة الأشاعرة. ٩٧
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبيﷺ من الأحاديث الصحاح، وأن النبيﷺ قد رأىٰ ربه،

فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ ...) ٩٩
معنىٰ رؤية الله تعالىٰ في المنام ١٠٣
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء ...) ١٠٤
كيف توزن الأعمال وهي أوصاف للعاملين؟ ١٠٥
الأدلة علىٰ أن للميزان كفتان ١٠٦
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وأن الله تعالىٰ يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان والتصديق به) ١٠٧
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والإيمان بالحوض)..... ١٠٨
هل الحوض بعد الحساب أم قبله؟ ١٠٩
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (الإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام)..... ١١٠
هل عذاب القبر أو نعيمه علىٰ الروح أو علىٰ البدن؟ ١١١
معنىٰ فتنة القبر..... ١١١
هل الفتنة علىٰ المقبور فقط ولماذا سميت بفتنة القبر؟ ١١١
هل تسمع الحيوانات العذاب ؟ ١١٥
العذاب في القبر نوعان..... ١١٥
مستقر الأرواح بعد الموت..... ١١٦
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والإيمان بشفاعة النبي ﷺ

وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما ...) ١١٩
أنواع الشفاعة ١١٩
شروط الشفاعة ١١٩
الشفاعة الثابتة؛ ذكر العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- أنها تنقسم إلىٰ قسمين ١٢٠
لا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ في الدنيا ١٢١
معنىٰ التوسل وأنواعه والرد علىٰ بعض الشبهات في هذا الباب ١٢٢
أنواع التوسل المشروع: ١٢٤
أ- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ باسم من أسمائه الحسنىٰ أو صفة من صفاته العليا .. ١٢٤
ب- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بعمل صالح قام به الداعي ١٢٤
ج- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بدعاء الرجل الصالح ١٢٥
شبهات والجواب عليها حول مسألة التوسل: ١٢٥
الشبهة الأولىٰ ١٢٦
الشبهة الثانية: حديث الضرير ١٣١
الشبهة الثالثة: الأحاديث الضعيفة في التوسل ١٣٣
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن) .. ١٣٥
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وأن عيسىٰ بن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد) ١٤٥
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والإيمان قول وعمل يزيد وينقص

كما جاء في الخبر أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا) ١٤٩
المخالفون لأهل السنة في مسألة الإيمان طوائف: ١٥١
١ - المرجئة، وهم أقسام ١٥١
٢ - المعتزلة ١٥١
٣- الخوارج ١٥٢
مسألة الاستثناء في الإيمان وضوابطها ١٥٢
الفرق بين الإسلام والإيمان ١٥٤
الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه ١٥٥
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة من تركها فهو كافر وقد أحل الله قتله) ١٥٦
أولًا: أدلة الذين يرون تكفير تارك الصلاة تكاسلًا ١٥٦
ثانيًا: أدلة الذين لا يرون تكفير تارك الصلاة ١٥٧
فائدة: الذين يرون تكفير تارك الصلاة على قسمين ١٦٤
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة علي بن أبي طالب والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة كلهم للخلافة ....) ١٦٥
الخروج على الحكام على قسمين ١٦٧

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به ومن علا عليهم بالسيف حتىٰ صار خليفة وسمي أمير المؤمنين...) ١٦٩

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ولا غنىٰ لأمة الإسلام، في كل عصرٍ كان عن إمام). ١٧٢

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله فله أن يقاتل عن نفسه وماله ويدفع عنها بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يتبع آثارهم...) ١٨٠

أسباب الوقوع في فكر الخوارج ١٨٢

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ولا نشهد علىٰ أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف علىٰ المسيئ المذنب ونرجو له رحمة الله. ١٨٥

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والرجم حق علىٰ من زنا وقد أحصن إذا اعترف أو قامت عليه بينته، وقد رجم رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون) ١٨٧

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو بغضه بحدث منه أو ذكر مساويه كان مبتدعًا حتىٰ يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا) ١٨٩

الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله

ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه...**» ...) ١٩٠
فائدة: فيما يتعلق بضوابط التكفير ١٩٤
لابد في التكفير من شروط أربعة ١٩٦
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (والجنة والنار مخلوقتان كما جاء عن رسول الله ﷺ دخلت الجنة فرأيت قصرًا ورأيت الكوثر، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت كذا وكذا؛ فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ...) ١٩٩
ما هي الجنة التي أخرج منه آدم عليه السلام؟ ٢٠٧
الفائدة المستنبطة من قول الإمام أحمد: (ومن مات من أهل القبلة موحدًا يصلىٰ عليه ويستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا أمره إلىٰ الله تعالىٰ) ٢٠٨
الخاتمة ٢٠٩
الفهرس ٢١٣

❋ ❋ ❋